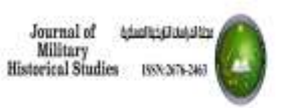
مجلة الدراسات التاريخية العسكرية



المجلد: الرابع / العـدد: الثالث (جويلية 2022)،

ص. 14-35

تاريخ الاستلام: 2022/.06/.12 تاريخ القبول: 2022/.06/.26.

المقاومة المورية للاحتلال الروماني في بلاد المغرب القديم

(ثورة الأخوين فيرموس وجيلدون (372م-398م)

Moorish resistance to Roman occupation in the ancient Maghreb (Revolution of the brothers Firmus and Gildon 372-398 AD

المؤلف:

د. الربيع عولمي /جامعة باتنة

البلـــــــد:

الجزائر

البريد الالكتروني:

rabieoulmi@gmail.com

ملخص:

شكلت ثورة الأخوين الموريين " فيرموس وجيلدون" في إفريقيا خلال الفترة (372م-398م)، حلقة في سلسلة طويلة من الانتفاضات والمقاومات في تاريخ الجزائر القديم التي أثرت على السلطة الرومانية وساهمت في تقويض أركان الاستعمار الروماني في شمال إفريقيا. ويُعدُّ "أميان مارسلان" و"كلوديوس" من الكتاب والشعراء اللاتين ومن أبرز المصادر الأدبية التي اهتمت بثورة "فيرموس"، وانتفاضة أخوه "جيلدون" إذ وصف كلوديوس في كتابه (De Bello Gildonico) أحداث تلك الثورة. تتطرق هذه الدراسة لثورة الأخوين الموريين " فيرموس وجيلدون" متناولة ظروف اندلاعها ووقائعها الحربية، مع استخلاص نتائجها وانعكاساتها على روما وعلى الشمال الافريقي القديم.

كلمات مفتاحية: فيرموس، جيلدون، مقاومة المور، موريطانيا القيصرية، تاريخ الجزائر القديم.

Abstract:

The uprising of the Moorish brothers "Firmus and Gildon", (372 AD - 398 AD), constitutes an episode in a long series of uprisings and resistances in the ancient history of Algeria which affected Roman authority. Amiens Marcellin and Claudius are among the Latin writers and poets, and among the most important literary sources concerned with the revolution of Firmus and the uprising of his brother, Gildon. Claudius described in his book (De Bello Gildonico) the events of this revolution. Thus, this paper deals with the uprising of the Moorish brothers "Fermus and Gildon". It addresses the circumstances of its outbreak and its course of actions. It also identifies its results and repercussions on Rome and ancient North Africa.

Keywords: Firmus, Gildon, resistance of the Moors, Mauretania Cesarean, ancient history of Algeria.

المؤلف المرسل: د. الربيع عولمي

الإيميل: **rabieoulmi@gmail.com**

مقدمة:

يتميز تاريخ المقاطعات الإفريقية خلال العهد الإمبراطوري الأسفل بسلسلة من الانتفاضات والتمرّد على السلطة الرومانية، والتي شكّلت بالنسبة لبعض المؤرخين، السمة الرئيسية لبداية مرحلة الانحطاط والتدهور التي عاشتها الإمبراطورية الرومانية في أواخر القرن الرابع الميلادي، ومن أبرز حركات التمرّد تلك: حركة دوميتيوس ألكسندر (Domitius Alexandre) في 308-310م، وثورة فيرموس (Firmus) في 372-375م، وأخوه جيلدون (Gildon) في 397-398م، ثم تمرد هيراكليانوس (Heraclianus) في 413م، وبونيفاس (Boniface) في 427-428م، وكانت لهذه الحركات أسباب مختلفة، شهدتها العقود الثلاثة الأخيرة من القرن الرابع الميلادي، رغم الازدهار الذي عرفته المقاطعات الأفريقية في تلك الفترة، لذا أصبحت القراءة المتأنية لهذه الأحداث ضرورية، وتسليط الضوء على كل حلقة على حدة، ودراسة سياقها التاريخي. وفي هذه الورقة سنُسلّط الضوء على أبرز تلك الثورات والانتفاضات التي شهدتها موريطانيا القيصرية في أواخر القرن الرابع الميلادي، ألا وهي ثورة فيرموس (Firmus) في 372-375م، وأخوه جيلدون (Gildon) في 397-398م والتي قوّضت أركان الاستعمار الروماني في شمال إفريقيا.

فقد ظلّت بعض الأقاليم في المغرب القديم خارج حدود السيطرة الرومانية، كالمناطق الجبلية والسهوب التي لم يشملها الاستيطان الروماني، الأمر الذي سمح بتواصل التشكيلات القبلية في شكل وحدات سياسية مستقلة نسبيا، تلك الوحدات التي وصفها "كريستيان كورتوا" Christian Courtois [1] بالجزر العائمة في محيط روماني. وقد ظلت مصدر تهديد لأمن المدن والأرياف الخاضعة للاستيطان طيلة الوجود الروماني بالمنطقة، معلنة عن ثورات خلال القرنين الرابع والخامس للميلاد.

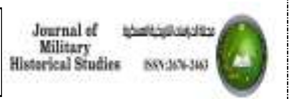
استطاع الكونت "تيودوز" (Théodose) أن يعيد الاستقرار إلى المغرب القديم بعد القضاء على ثورة "فيرموس" بتواطؤ من أخيه "جيلدون". ولإعادة ترتيب البيت الموريطاني بحثت السلطة الرومانية عن أمير محلي يكون وفيا لروما، ووجدت في شخص "جيلدون" ما كانت تبحث عنه. لذلك كافأته روما مقابل تلك الخدمات التي قدمها للجيش الروماني ووفائه لحلفائه، بتعيينه في سنة 387م كونت إفريقيا وقائدا لفرقتين من الميليشيا (Comes et magister utriusque militiae) وهو المنصب الذي نص عليه قانون "تيودوسيوس" (Théodosius) الصادر في 30 ديسمبر سنة 393م.

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على إحدى أهم الثورات التي شهدتها موريطانيا القيصرية في أواخر القرن الرابع الميلادي، وهي ثورة الأخوين الموريين "فيرموس وجيلدون" هذه الانتفاضة التي قوّضت أركان الاستعمار الروماني في شمال إفريقيا. ولنا أن نتساءل هل كانت ثورة فيرموس وانتفاضة أخوه "جيلدون": لدوافع شخصية أرادا تحقيقها؟ أم أن حركتهما كانت لها دوافع سياسية لرد الاحتلال الأجنبي؟ وما العوامل التي ساعدت على انتشار حركته؟ وما دور الكونت الروماني "رومانوس" وتصرفاته في اندلاع الثورة؟ وما مدى مساهمة هذه الثورة في تقويض أركان الاستعمار الروماني في شمال إفريقيا؟.

2. ثورة "فيرموس":

2. 1أسباب قيام الثورة:

عرفت بعض القبائل بعدائها الشديد للرومان، ومن تلك التشكيلات القبلية ما يعرف بحلف القبائل الخمس [2] (Quinquegentiani) التي تحولت إلى قوة ضاربة في المنطقة، أُسندت قيادتها إلى رئيس إحدى قبائل الحلف يدعى "فاراكسن" (Faraxen). [3]_لم يتوقف الأمر عند قبائل الحلف الخماسي بل امتد التمرد إلى قبائل "البوار" [4] (Bavares)،



التي استعصت هي الأخرى على السلطة الرومانية. واستطاعت زعزعة استقرار مقاطعة موريطانيا القيصرية على الحدود الشرقية المتاخمة لمقاطعة نوميديا، مما أجبر الرومان على الرضوخ والاعتراف بحكم الزعماء المحليين كحقيقة واقعة.

يبدو أن تلك القيادات القبلية قد حازت ثقة العشائر التي مثلتها نتيجة قدرتها على تحريض القبائل على الثورة ضد الرومان، فضلا عن قدرتها على قيادة المعارك وعقد التحالفات كحلف القبائل الخمس.

يبدو أن روما استغلت تلك القيادات والأسر ذات النفوذ السياسي والمعنوي لدى السكان. فوطدت العلاقة معها وعملت على تنمية مكانتها بين الناس لتكون واسطة بينها وبين الأهالي، حتى لا يلجأ هؤلاء إلى القيادات المستقلة عن إدارة روما فيحدث التمرد. ولعل أوضح مثال على ذلك: عائلة "فيرموس" Firmus التي برزت إلى سطح الأحداث في الثلث الأخير من القرن الرابع الميلادي.

وقد اختلف أتباع "فيرموس" كما اختلفت التركيبة الاجتماعية والدينية لقواته، وضمت مختلف فئات السكان كالوثنيين والدوناتيين والدوارين والجنود الناقمين. ووجد "فيرموس" الجو مهيئا من طرف الدوناتيين والثوار الريفيين الذين أصبحوا يعرفون بـ "رجال فيرموس" (Ferminaii). والظاهر أن "فيرموس" قد أحسن استغلال الجو الملائم للثورة الذي هيأه الدوناتيون والثوار الريفيون، وحقق انتصارات سريعة. فانضمت إليه جموع القبائل الساخطة على الرومان ورحب به رجال الدين الدوناتيين وفتحوا له الكنائس، وبادر الثوار الريفيون بالانخراط في صفوفه أملا في تحقيق نصر كان يراودهم منذ أمد بعيد. [5]

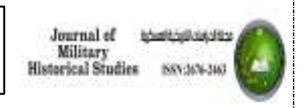
يعتبر "أميان مارسلان" (Ammien Marcellin) من أبرز المصادر الكلاسيكية التي سجلت أحداث ثورة "فيرموس". فقد عاصر تلك الأحداث لذلك كانت معلوماته غزيرة رغم ضياع بعض فصول الكتاب [6]. ثم "بول أوروز" (Paul Orose) الذي عاش في القرن الخامس أي في فترة متأخرة من ثورة "فيرموس"، ولكن أحداثها لا تزال عالقة في الأذهان. [7] ويُعدُّ "كلوديوس" (Claudius) من الكتاب الشعراء اللاّتين الذين اهتموا بثورة "فيرموس". فقد وصف في كتابه "حرب جيلدون" [8] (De Bello Gildonico) من خلال مجموعة من الأشعار أحداث تلك الحرب.

ويعتبر "زوسيم" (Zosime) من المؤرخين الذين لم يعاصروا ثورة "فيرموس" إلا أنه ذكر بعض أخبار الثورة [9]. و"أوريليوس فيكتور" (Aurelius Victor) [10] ثم القديس "أوغسطين" (St. Augustin) من خلال رسائله [11] متهما الدوناتيين – كعادته-بالضلوع في هذه الثورة والتحالف مع "فيرموس" لتقويض أركان الوجود الروماني في المغرب القديم.

وتضمنت الوثائق الأثرية (النقوش) إلى جانب المصادر الأدبية معطيات هامة عن حركة "فيرموس" منها: نقيشة عثر عليها في خرائب كنيسة بالمقبرة الشرقية بتيبازة (Tipaza) تنسب إلى القديسة "صالصا" (St. Salsa) وأشارت النقيشة إلى الثائر "فيرموس" وطموحاته في الإطاحة بالإمبراطور الروماني[12].

واحتوت نقيشة "روسقونيا" (Rusguniae) "رأس ماتيفو" Cap Matifou"برج البحري حاليا" شرق مدينة الجزائر تعود إلى القرن الرابع الميلادي، على اسم والد "فيرموس" المدعو "فلافيوس نوبل" [13] (Flavius Nubel) الذي كان قائدا لفرقة عسكرية من المساعدين (equitum armigerorum juniorum) [14]وقد كُتبت النقيشة بمناسبة بناء نوبل كنيسة بـ "روسقونيا" [15] مهداة إلى الصليب المقدس. وتضمنت نقيشة "ملاكو" M'lakou-وهو موقع كان يضم أملاكا لأحد إخوة "فيرموس" على الضفة اليمنى لوادي الساحل (الصومام حاليا) -معلومات عن قصر يدعى "بترا" [16] (Petra)، وصفه "أميان مارسلان" بالاتساع وأنه حصن منيع [17].

وأشارت نقيشة أخرى عثر عليها بمليانة [18] إلى أحد إخوة "فيرموس" يدعى "مازوكا" Mazuka وهو الذي اقتحم "قيصرية" Caesarea عاصمة مقاطعة موريطانيا القيصرية. ووجدت نقيشة أخرى معلقة على جدران أحد قصور عائلة "فيرموس" بموقع "الصومعة"، شرقي مدينة الجزائر قرب ثنية بني عائشة، وكانت تشير إلى "فيرموس" ووالده "نوبل" [19]. وقد وصف



"س. غزال" هذا القصر بأنه كان مقرا للأمير "نوبل" وابنه "فيرموس" ومركز مراقبة هام يحتل موقعا استراتيجيا [20]. وعثر على نقيشة في خرائب حصن "تيغافا كاسترا" [21] (Tigava Castra) الذي يقع بين مدينتي "أوبيدوم نوفوم" [22] Oppidum Novum و"تجيتي" Tigitii "الشلف" حاليا، تشير إلى أن ثورة "فيرموس" امتدت إلى وادي الشلف وجبال تلك المنطقة [23].

تُوحي هذه النقائش التي عثر عليها في مواقع متعددة ومتباعدة أن ثورة "فيرموس" كان قد اتسع نطاقها الجغرافي، حيث كانت تشمل مناطق مختلفة من موريطانيا القيصرية. ومن المؤرخين المحدثين الذين تناولوا أحداث ثورة "فيرموس" بالدراسة والتحليل "ستيفان غزال" S.Gsell [24] ووينكلير [25] Winkler، ورونيه كانيا [26] R.Cagnat. وأكدت هذه الدراسات أن انتشار ثورة "فيرموس" دليل على أن نفوذ العائلة المالكة كان واسعا، مما اقتضى إقامة "فيرموس" وإخوته في مناطق متباعدة من المقاطعة القيصرية حتى يضمنوا ولاء القبائل لهم.

ساعدت مجموعة من الظروف والعوامل على تمرد "فيرموس" وقيادة ثورة شاملة هددت الوجود الروماني بمقاطعة موريطانيا القيصرية. وبالرغم من أن العائلة الملكية كانت تابعة تاريخيا إلى الرومان تبعية صدق ووفاء، إلا أن الأمير الموري "فيرموس" استطاع كسب ثقة القبائل المورية المختلفة وتكتلت في شكل اتحادات وكونفدراليات التي جندت نفسها ووقفت إلى جانبه في مواجهة روما. لذلك يحق لنا أن نتساءل: هل قيام ثورة "فيرموس" كانت لدوافع شخصية أراد تحقيقها؟ أم أن حركته كانت لها دوافع سياسية لرد الاحتلال الأجنبي؟ وما العوامل التي ساعدت على انتشار حركته؟ وما دور الكونت الروماني وتصرفاته في اندلاع الثورة؟.

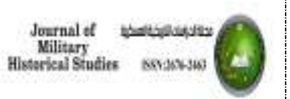
انطلقت ثورة "فيرموس" من مجال جغرافي استعصى على السلطة الرومانية، إذ لم يكن خاضعا للاحتلال التام. وكان يتمتع بنوع من الاستقلالية، وسكانه كانوا ينتمون إلى أسر عريقة وصفتها المصادر الأدبية بالملكية (Regulis) والتي يحتمل قدمها وعراقتها وتعاملها مع الرومان [27]. ومن هذه الأسر أسرة الأمير "فيرموس" Firmus بن "نوبل" Nubel الذي تزعم حركة عصيان ما لبثت أن استقطبت القبائل المورية المختلفة [28].

وانضمت إليه مختلف الطبقات المسحوقة التي تضررت من النظام الاجتماعي الروماني، وتتضامن فيما بينها وتشكل قوة ثورية تدفعها الرغبة في التحرر والانعتاق [29]. وقد احتضنت تلك الطبقات المضطهدة "فيرموس" وكانت متحمسة لأي انتفاضة محتملة ضد الوضع القائم، فالرومان كانوا أسيادا ودائنين ولم يكن في وسعهم إعفاء المديونين من الدين [30].

يبدو أننا أمام محاولة حقيقية لثورة اجتماعية تهدف إلى تحرير المضطهدين والعبيد واليد العاملة الحرة من البطالة والاستغلال. لقد سكتت المصادر الأدبية عن الأسباب الحقيقية التي دفعت "فيرموس" إلى التمرد على السلطة الرومانية. لكن يبدو أن الحاكم الروماني "رومانوس" Romanus قد ساهم بقسط وافر في إذكاء الصراع بين "فيرموس" وأخيه "ساماك" Sammac الأمر الذي أدى إلى اغتيال هذا الأخير، مما أثار حربا صامتة بين "رومانوس" و"فيرموس" آلت إلى إعلان "فيرموس" تمرده على الكونت الروماني [31].

والظاهر أن أسباب هذا التمرد متعددة، وهناك عناصر مختلفة تظافرت فيما بينها ودفعت الموريين إلى الثورة. وقد ألقى "أميان مارسلان" كامل المسؤولية على الكونت "رومانوس" متهما إياه بتشجيع قبائل الأوستورياني (Austuriani) [32] التي هاجمت مدينتا أويا (Oea) "طرابلس" حاليا و"لبتيس ماغنا" (Leptis Magna) "لبدة حاليا" وعاثت فيها سلبا ونهبا. مما دفع سكانها إلى تقديم شكوى إلى الإمبراطور "فالنتينيانوس" Valentinianus منددين بتصرفات الكونت "رومانوس" [33].

وقد ذكر "أميان" أن الإمبراطور أوفد لجنة تحقيق إلى عين المكان، غير أن الكونت اشترى ضمائر مندوبي اللجنة مما حجب الحقائق عن الإمبراطور [34].



ووجدت قبائل الأوستورياني الفرصة سانحة لتكرار غاراتهم على طرابلس ولبدة، وبتقاعس الكونت "رومانوس" قتلوا عددا كثيرا من سكانها بعد عمليات الحرق والنهب التي تعرضت لها المدينتان. قامت تلك القبائل بقلع أشجار الزيتون وأخذت الغنائم التي كانت قد تركتها في هجماتها السابقة خلال سنوات 365-366م [35].

ويبدو أن تلك الحرب التي وصفها "روني كانيا" René Cagnat بالحرب الصامتة قد أعلنت عن نفسها في شكل مناوشات عدة مرات[36]. وهذا ما تؤكده النصوص القديمة من أن ثورة "فيرموس" دامت عشر سنوات (365-375م) [37]. على اعتبار أن وفاة الأمير "نوبل" كانت في حوالي 370م، ولما كان محل ثقة السلطة الرومانية فقد أسندت له مهمة قيادة وحدة من الفرق المساعدة من فئة المئة (Centuriae) [38].

ويذكر "غزال" أن روما كانت تمنح قيادة هذه الوحدات لأمراء محليين، مثلما كانوا يقودون وحدات القبائل الخاضعة لهم. وكان هؤلاء القادة العسكريون من الأهالي يحملون لقب "فلافيوس" Flavius خلال القرن الرابع الميلادي. وهو اسم عائلة إمبراطورية معروفة كانت قد منحته إياهم في إطار امتيازات حق المدينة الرومانية [39].

يحق لنا في هذا السياق تلمس الظروف والأسباب الموضوعية التي دفعت "فيرموس" إلى التمرد وتهديد الوجود الروماني في مقاطعة موريطانيا القيصرية. وقد استطاع "فيرموس" كسب ثقة القبائل المورية المختلفة التي اقتنعت بضرورة التخلص من الهيمنة الرومانية، خاصة بعد ما تلقت الإمبراطورية ضربات موجعة على أيدي تلك القبائل في النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي [40].

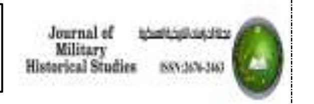
ومن أبرز تلك الثورات انتفاضة سنة 253م التي جاءت كرد فعل على الإجراءات الردعية التي قام بها الإمبراطور "فاليريانوس" Valérianus ضد سكان المناطق الجبلية في موريطانيا القيصرية ونوميديا الذين رفضوا الخضوع للحكم الأجنبي، ولم يرضوا بغير الخضوع للزعماء المحليين [41]. وقد امتدت تلك الانتفاضات إلى الحدود الشرقية لمقاطعة موريطانيا القيصرية المتاخمة لمقاطعة نوميديا. حيث أجبرت قبائل "البوار" Bavares الفرق العسكرية الرومانية على التقهقر ومغادرة معاقلها خلال الفترة (253-263م)، ومن ثم أكدوا تمسكهم بحكم زعماء الأهالي [42].

يُضاف إلى تلك الطموحات التحررية، ذلك الصراع الديني الذي احتدم بين أتباع الكنيسة الرسمية وكنيسة الدوناتيين، والذي برز في شكل صراع اجتماعي-ديني زعزع نفوذ السلطة الرومانية في المغرب القديم. خاصة عندما انحازت تلك السلطة إلى الكنيسة الكاثوليكية واعتبرتها الكنيسة الحقيقية بينما اضطهدت أتباع الكنيسة الدوناتية. عندئذ عبَّر الدوناتيون عن رفضهم الخضوع للسلطات الكنسية أو الإمبراطورية، وتحول الانشقاق الديني إلى تمرد سياسي [43].

ويظهر أن أسباب ثورة فيرموس عديدة يمكن إيجازها فيما يأتي:

1-مظاهر التضعضع التي كانت بادية على الإمبراطورية في منطقة المغرب القديم كنتيجة للفساد الذي استفحل في الأجهزة الإدارية والعسكرية. ومن مظاهر ذلك استنجاد أهالي "لبتيس ماغنا" Leptis Magna و"أويا "Oea" طرابلس حاليا" بالكونت الروماني "رومانوس" Romanus قائد جيش إفريقيا الذي طلب من الأهالي – مقابل رد غارات قبائل الأوستورياني Austuriani-تأمين المؤن الضرورية للحملة وتقديم أربعة آلاف رأس (4000) من الإبل، ولمّا عجز الأهالي عن تلبية تلك المطالب، سحب الكونت جيشه دون أن يُعاقب تلك القبائل [44].

2-رغبة القبائل المورية في التحرر والتخلص من الهيمنة الرومانية، والتي رأت في ثورة "فيرموس" أمل الخلاص، خاصة بعدما أصبح الكونت "رومانوس" القائد الأعلى للمقاطعات القيصرية عاجزا عن الوقوف في وجه "فيرموس". وفرض سلطته المعنوية على قواته العسكرية سواء في المقاطعة القيصرية أو في المقاطعات الأخرى الواقعة تحت قيادته [45].



3-كان الجو العام في تلك الفترة مهيأ مما ساعد على تمرد الدوناتيين والثوار الريفيين على السلطة الرومانية، فكان الارتباط بين "فيرموس" والحركة الدوناتية قويا حيث احتضنته هذه الأخيرة ووفرت له غطاء دينيا. وانضمت إليه جموع الدوناتيين والدوارين حتى لُقّبوا برجال "فيرموس" (Ferminaii).

4-تطلع بعض الأمراء المحليين التابعين لروما إلى الانفصال عن السلطة الرومانية والاستئثار بالحكم. ومما شجعهم على ذلك حياة البذخ والرفاهية التي كان يتصف بها المجتمع الرماني في تلك الفترة. فأصبحوا من أصحاب الإقطاعيات الكبرى بعدما سيطروا على الأراضي وأنشأوا الضياع الواسعة وشيدوا القصور، وبذلك أحكموا سيطرتهم على المجتمع المدني والريفي وعلى القبائل المجاورة [46].

5-تظافرت عدة عوامل حسب "روني كانيا" R.Cagnat، كالتطلعات الدينية والمطالب الاستقلالية والانتقام الشخصي[47]، دفعت "فيرموس" إلى الثورة وتحريض موريطانيا على التمرد والعصيان. وقد ارتدى "فيرموس" اللباس الأرجواني (pourpre)، كما قلَّده أحد القضاة العسكريين (Tribun) من كتيبة المساعدين تاجا وضعه على رأسه وقد رأت فيه القبائل المورية القائد العسكري الذي طالما انتظرته[48].

وهكذا يتضح أن الإمبراطورية الرومانية أصابها – في تلك الفترة-الإنهاك والضعف فعجزت عن الاحتفاظ بهيبتها في المقاطعات الإفريقية التي أوكلت قيادتها لحكام عسكريين يفتقدون للحنكة السياسية، إضافة إلى أن بعضهم كان يتصف بالفساد وسوء التصرف مما شجّع الأهالي في تلك المقاطعات على التمرد وحرّك لديهم الرغبة في الانفصال.

2.2 محطات ثورة فيرموس:

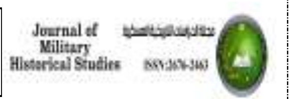
يذكر "غزال" أن "نوبل" كان قائدا موريا قويا، له سبعة أبناء، وهم: "فيرموس" Firmus و"ساماك" Sammac، و"جيلدون" Gildo، و"مازوكا" Mazuca أو"مازوكان" Mazucan، و"ماكزيزل" Maczezel و"ديوس" Dius، وبنت تدعى "كيريا" (Kyria- Cyria) [49]._وأشارت إحدى النقوش التي اكتشفت حديثا [50]. أن "ساماك" كان يقطن في منطقة "ملاكو" M'lakou على الضفة اليمنى لوادي الساحل على بعد حوالي 25 كلم جنوب غرب "توبوسكتو" (Tubusuctu) "تيكلات" Tiklat حاليا، في قصر ضخم وكأنه مدينة يدعى "بترا" (Petra) حسب رواية "أميان مارسلان" [51].

وكان "مازوكا" يقيم في ضيعة أو قصر مازوكانوس Fundus Mazucanus[52] في منطقة الشلف وما جاورها. لذلك لعب دورا هاما في السيطرة على العاصمة قيصرية Caesarea (شرشال حاليا) في بداية الثورة. وقد ورد اسم "مازوكان" Mazucan في نقش عثر عليه في مليانة [53]. أما "فيرموس" فكان يقيم في موقع وسط بين أخويه "ساماك" و"مازوكا"، وهو موقع الصومعة قرب ثنية بني عائشة.

يبدو أن أبناء "نوبل" كانوا يقيمون في قصور وأملاك منتشرة في مناطق مختلفة من مقاطعة موريطانيا القيصرية، وأن هذا الانتشار دليل على نفوذ العائلة المالكة على منطقة واسعة مما اقتضى إقامة هؤلاء الأمراء في مناطق متباعدة بهدف حفظ وصيانة أملاكهم من جهة، وضمان ولاء القبائل المتواجدة في المقاطعة من جهة أخرى.

استهل "فيرموس" ثورته بمهاجمة عاصمة مقاطعة موريطانيا القيصرية مدينة قيصرية Caesarea (إيول – شرشال). [54] حيث أمر أخاه "مازوكا" باقتحامها وإضرام النار فيها. ثم استولى على مدينة "إيكوسيوم"(Icosium) "الجزائر حاليا" التي تعرضت للنهب، وحاصر مدينة "تيبازة " Tipaza [55] واكتسح مدينة "كارتناي" Cartennae (تنس Tenes حاليا). فانتشر الذعر والهلع في أرجاء المقاطعة [56].

وهكذا سيطر"فيرموس" على كامل المنطقة الشرقية من موريطانيا القيصرية وأصبح إقليم متيجة الحيوي تحت حكمه. كما فَتَح له أسقف روسوبيكاري Rusubbicari [57] الدوناتي أبواب المدينة بعد أن وعده "فيرموس" بألا يُلحق الضرر



بسكانها [58]، ويتضح من ذلك مدى ارتباط ثورة فيرموس بالحركة الدوناتية. بعدما تلقى الإمبراطور "فالنتنيانوس الأول " أخبار انتصارات "فيرموس" أوكل المهمة إلى أحد أبرز جنرالاته: الكونت "تيودوز" أب "تيودوسيوس" الذي سيصبح فيما بعد إمبراطورا سنة 372م، فأبحر نحو سواحل إفريقيا على رأس قوة صغيرة.

يذكر "أميان مارسلان" [59] أن قوات الكونت "تيودوز" عبارة عن فرق وكتائب مساعدة (Auxilia Comitatensia)، استقدمت من منطقتي ميسيا العليا وبانونيا [60] في أوروبا الوسطى [61] نزلت قوات "تيودوز" بميناء إيجيلجيلي (Igilgili) "جيجل حاليا" سنة 372م [62]، وبذلك بدأت الحملة الرومانية ضد معاقل "فيرموس" التي بالغت المصادر الأدبية في وصفها، خاصة "أميان مارسلان" الذي بالغ في التنويه بمهارة الكونت "تيودوز"، وهذا أمر لا نستغربه من مؤرخ روماني كتب عن حرب كان الرومان طرفا فيها.

بادر الكونت "تيودوز" إلى إعلان حالة الطوارئ وأصدر في هذا الشأن قانونا [63] -خلافا للقاعدة – لأعضاء مكاتب (Officium) وحكام المقاطعات المدنيين والعسكريين بالانخراط في الجيش المحارب. وطالب من العناصر الموجودة في حالة انتداب مؤقت –وقت صدور القانون-في فيالق الحدود (Numerus) أو في أي فرقة أخرى الالتحاق بفرقهم إن كانوا قادرين على حمل السلاح. [64] كما نصَّ القانون ذاته على منع -منعا باتا-انتداب ولو جندي واحد من خدمته العسكرية لكي يلتحق بإدارة حاكم المقاطعة، سواء في مقاطعة بيزاكينا (Byzacène) أو مقاطعة طرابلس (Tripolitaine) وهي الأقاليم التي تقع شرق المناطق الثائرة [65].

درج بعض المؤرخين على تقسيم هذه الحملة إلى عدة جولات، أُنظر (خريطة رقم 1) وحصروا إطارها الزمني ما بين 372م و375م، وهي كما يأتي:

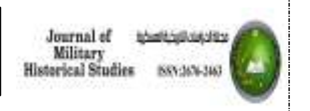
<u>الجولة الأولى</u>: تبدأ بالإنزال الروماني في ميناء جيجل، حيث توجه "تيودوز" جنوبا إلى ستيفيس (Sitifis) "سطيف حاليا"، واتخذها قاعدة لعملياته [66]. وأمر الكونت "رومانوس" بتنظيم التحصينات العسكرية على الحدود المتاخمة للمقاطعة القيصرية -قبل عزله-، ثم اتجه نحو مدينة "توبوسكتو" (Tubusuctu) [67] وفي هذه المنطقة اصطدم بقبائل "تيندن" [68]Tyndenses وقبائل "ماسينيسن" Masinissenses [69] التي كان يقودها "ماكزيزيل" و"ديوس" أخوي "فيرموس". وقد تمّ تخريب قصر بترا [70] بعد أن استطاع الكونت "تيودوز" الانتصار عليهما [71].

توجه "تيودوز" بعد تطويع القبائل المورية نحو تيبازة بعد عدة أيام من السير في منطقة صعبة المسالك، مخترقا منطقة القبائل، ربما عبر قصر كبوش (قصر شبال) ووادي سباعو ليصل إلى سهل متيجة عن طريق ثنية بني عائشة [72].

طلب "فيرموس" -أثناء تلك الحملة-الصلح الذي قبله "تيودوز" عن طريق كهنة مسيحيين (Christiani ritus autistites). [73] واشترط "تيودوز" تقديم بعض الرهائن، وتمكن من استعادة "إيكوسيوم"(Icosium) بعد يومين من ذلك الاتفاق. ولما بلغ مدينة تيبازة أذعنت له قبائل "المازيك" (Mazices) [74]، ثم توجه بعد ذلك إلى قيصرية التي وجدها حطاما، فأقام بها فرقتين من الجيش لحراستها وترميم مبانيها. ومن ثم تابع أثر "فيرموس" الذي وصف "كانيا" تحركاته بأنها اتخذت من المرتفعات معقلا حصينا، ومنها الجبال المشرفة على قيصرية [75].

يذكر "أرنست مارسي" أن "فيرموس" بعد أن علم بقدوم "تيودوز" عمل على ربح الوقت، بأن طلب منه السلم، وهو ما لم يرفضه الكونت الروماني الذي اشترط تقديم الرهائن [76].

انتقل "تيودوز" -دون أن ينتظر-إلى محطة "بانكاريانا" Statio Panchariana[77] لتفقد فرق إفريقيا، قبل أن يعود إلى سطيف من حيث بدأ حملته، ويتوجه نحو "توبوسكتو" على وادي الساحل (الصومام حاليا). وفي هذه المنطقة يصطدم بقبائل "تيندن" و"ماسينيسن" واحتل "تيودوز" حصن "لامفوكتنس" (Oppidum lamfoctense) [78] الذي يقع في إقليم تلك القبائل واتخذ منه القائد الروماني مخزنا للتموين بالغذاء والأسلحة [79].



الجولة الثانية: علم "تيودوز" أن "فيرموس" بصدد الإعداد لهجوم جديد، وعلى إثر ذلك غادر القائد الروماني قيصرية متوجها نحو "زوكابار" Zuccabar [80] "مليانة" حاليا التي تستند إلى جبال "ترانسلنسيس" (Transcellensis) [81] حيث وجد هناك فيلقين تابعين لجيش إفريقيا [82] كانا قد انحازا إلى فيرموس. فأعدم قادة الفيالق وعرض الجنود للتعذيب، على غرار ما كان يفعله جنرالات روما القدامى.

استولى "تيودوز" على قصر غايوناتيس (Fundus Gaionatis) [83] الذي تحصن به المور -وحتى يحرم "فيرموس" من إمكانيات تجديد الحرب – قام بتدميره. ومنه تقدم نحو قلعة "تينجيتانوم" (Castellum Tingitanum) [84] حيث هاجم قبائل المازيك (Mazices) في جبال أنكورايوس (Ancorarius) [85] ودفعهم "تيودوز" إلى الفرار من المعركة- حسب تعبير "كانيا" -[86].

وقبل أن يدخل بلاد قبائل "موزوني" (Musones) [87] التي أعلنت نفسها عدوة الإمبراطورية الرومانية، وصل إلى بلدة "أدانس" (Addense) [88]حيث وجد نفسه وسط قبائل كثيرة العدد مستعدة للمواجهة، يدفعها إلى ذلك مقتها لكل ما هو "روماني" بفضل العمل الذي قامت به "كيريا" Cyria أخت "فيرموس" [89].

ولما كان "تيودوز" على رأس قوة قليلة لا تتعدى 3500 جندي، فقد اضطر إلى التراجع نحو تيبازة في شهر فيفري سنة 374م بعد فترة توقف قصيرة قضاها في قصر مازوكانوس [90] Fundus Mazucanus[91].

يذكر "أميان مارسلان" أن "تيودوز" قضى فترة طويلة في تيبازة استغلها في العمل السري ومحاولة استمالة حلفاء "فيرموس" وشراء ضمائرهم بالمال أحيانا، والتهديد والوعيد أحيانا أخرى. [92] وهي الأساليب الدنيئة التي اعتاد عليها الرومان. وهذا ما جعل بعض القبائل تتخلى عن "فيرموس"[93]، ورغم ذلك استمرت الثورة ضد الوجود الروماني في بلاد المغرب.

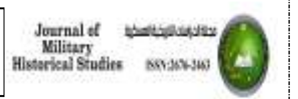
يتضح مما سبق أن هذه الجولة الثانية جرت وقائعها في فصل الشتاء، الذي لم يوقف تقدم "تيودوز" وقد جاب خلالها مناطق كثيرة من وادي الشلف وبلاد أخرى مجاورة، ثم عاد إلى نقطة انطلاقه "تيبازة".

الجولة الثالثة: لجأ "فيرموس" إلى جبال "كابراريانسيس" (Montes Caprarienses) [94] رغم أنه كان يتوفر على الإمكانيات التي تسمح له بمواصلة القتال-وسط منطقة صخرية صعبة المسالك، بعد أن احتل جند "تيودوز" معسكره، وقتلوا بعض أتباعه وسجنوا البعض الآخر وخربوا المنطقة [95].

وقد حاول "تيودوز" اللحاق به، إلا أن "فيرموس" تراجع تاركا الجيش الروماني يتقدم وسط منطقة وعرة تسكنها قبائل معادية للرومان مثل قبيلة آيث عبّان (Abannae) [96] على ما يذكر "أميان مارسلان"[97]، تحصنت هذه القبيلة في مناطق مرتفعة واستعدت للانقضاض على قوات "تيودوز" الذي اضطر إلى التراجع والانسحاب محافظا على انضباط وحداته، التي قاومت كل الهجمات التي تعرضت لها. وقد سمح له هذا التنظيم من الوصول إلى بلدة "كونتانسيس" (Contensis Civitas) حيث حرر بعض الأسرى الرومان كان "فيرموس" قد احتجزهم هناك.

لقد سكتت المصادر القديمة عن العمليات العسكرية التي دارت خلال هذه الجولة بين "تيودوز" و"فيرموس"، كما بقيت الكثير من المواقع الجغرافية غير محددة، لكن إشارات "أميان مارسلان" تؤكد أن حملة "تيودوز" بلغت مناطق بعيدة. فحينما يذكر المؤرخ الروماني "أميان" أن الأثيوبيون (juxta Aethiopum agentium) كانوا يقطنون بالقرب من جبال "كابراريانسيس"(Montes Caprarienses) [98]، فهذا يدل على أن المنطقة مجاورة للصحراء [99].

يبدو أن تلك الجبال تقع بين الحضنة والصحراء. وإن كان "أميان مرسلان" لم يذكر موقعها بوضوح [100] فإن "تيودوز" لجأ إلى أوزيا (Auzia) في نهاية هذه الجولة.



الجولة الرابعة: لجأ "فيرموس" وشقيقه "مازوكا" -في تلك الأثناء-إلى قبيلة "إيزفلانس" (Isaflenses) [(101)]. ولما بلغت تلك الأخبار "تيودوز"، توغل في أراضي تلك القبيلة ودارت معركة حامية بينه وبين "فيرموس"، ضمن فيها التفوق العددي النصر للرومان. فقتل فيها الكثير من أفراد القبيلة، بينما تمكن "فيرموس" من الفرار-على ما يذكر "أميان مارسلان"- بفضل سرعة جواده [(102)]. في حين وقع شقيقه "مازوكا" في الأسر نتيجة جروح أصيب بها في المعركة، وتعرضت المنطقة بعدها للنهب والتخريب عقابا لتلك القبائل التي وقفت إلى جانب "فيرموس" عدوّ روما [(103)].

واصل "تيودوز" حملته ليصطدم بقبائل "يوبلاني" (Jubaleni) [(104)] التي تمكنت من صده، فتراجع نحو حصن "أوديانس" (Castellum Audiense) [(105)] أين تلقى خضوع قبيلة "إيزفلانس" التي تعهدت بتقديم فرق عسكرية مساعدة والمؤن للجيش الروماني [(106)].

ورغم كل الانتصارات التي حققها الكونت "تيودوز" إلا أنه عجز القضاء على ثورة "فيرموس"، هذا الثائر الموري الذي كان ظهوره في منطقة ما يكفي لتشتعل نار الثورة من جديد، وهو ما دفع "تيودوز" إلى إقامة معسكره قرب قلعة "مادیانوم"(Castellum Médianum) [(107)] وحاول مفاوضة سكان القلعة لكن دون جدوى [(108)].

وفي تلك الأثناء، بلغته أخبار أن "فيرموس" لجأ إلى قبيلة "إيزفلانس"، فاضطر "تيودوز" إلى غزو أراضيها، ودارت معركة كبيرة بين الطرفين كان النصر فيها حليف "فيرموس"، نتيجة خيانة إحدى فرق الجنرال الروماني فاضطر إلى التراجع نحو قلعة "أوزيانس" [(109)] Castellum Auziense. وحينما حاول "تيودوز" التراجع تعرض لضربات قبيلة "إيزفلانس" التي كانت قد تعهدت بتقديم العون للرومان، مما اضطره إلى الانسحاب نحو سطيف [(110)].

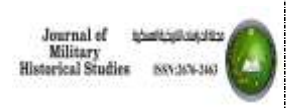
يتضح مما سبق أن حملات "تيودوز" عجزت عن تحقيق نتائج حاسمة. وقد تفطّن الجنرال الروماني إلى أن بقاء الارتباط بين القبائل المورية و"فيرموس" سيؤدي إلى استمرار الثورة بل ويؤجج لهيبها أكثر، فلجأ إلى سلاح الخيانة لإنقاذ الفرق العسكرية الرومانية.

الجولة الخامسة: عاد الكونت "تيودوز" إلى سطيف بعد أن عبر عدّة مدن في موريطانيا القيصرية، لم يذكرها "أميان مارسلان" [(111)]، ويبدو أن الفرقة الرومانية بقيادة "تيودوز" قد سلكت -وهي في طريق العودة-أقصر الطرق للوصول إلى سطيف ربما عبر منطقة القبائل، لأن أوزيا كانت أقرب ما تكون إلى حدود موريطانيا السطيفية.

استأنف "تيودوز" الحرب من سطيف ضد قبائل "إيزفلانس"، ولجأ هذه المرة إلى سلاح الخيانة. وتمكن من إقناع زعيم القبيلة "إقمازن" (Igmazen) بضرورة التخلي عن "فيرموس"، وأنه سيكون الخاسر الأكبر إذا ما واصل تحالفه معه [(112)]، ودرء لكل الشكوك قاد "إقمازن" قبيلته إلى عدة معارك خاسرة – حسب الاتفاق المبرم مع "تيودوز"-إلا أن "فيرموس" تفطن إلى المكيدة لكن بعد فوات الأوان. فقد فكّر في الفرار لكن دون جدوى، حيث رصد "إقمازن" عيونا تراقبه ولما علم أن هذا الأخير على وشك تسليمه إلى "تيودوز"، وحتى لا يقع أسيرا في أيدي أعدائه اختار الانتحار [(113)].

حمل "إقمازن" جثة "فيرموس" على ظهر بعير إلى مخيم الكونت الروماني "تيودوز" بقلعة "سوبيكارنس"[(114)] (Castellum Subicarense) [(115)]. بعد أن قام "تيودوز" بعرض جثة "فيرموس" أمام الجمهور للتعرف على هويته، عاد إلى سطيف منتصرا في سنة 375م [(116)]. وبذلك انتهت الثورة التي استمرت أربع سنوات.

والملاحظ أن المجال الجغرافي لهذه الثورة كان واسعا، فقد امتدت ثورة "فيرموس" من التل الوهراني غربا إلى سطيف (نوميديا) شرقا مرورا بموريطانيا القيصرية وحوض الشلف وجبال الونشريس ومنطقة القبائل، كما بلغت رفارف الصحراء ومنطقة الحضنة جنوبا. ومما يدلّ على قوة تأثيرها، تلاحمها الاجتماعي مع مختلف القبائل التي تباينت بواعث مساندتها للثورة. فقد شكل الثوار الدوارون Circoncellions زادا هاما للثورة، بما اكتسبوه من تجربة في إدارة الصراع مع السلطة الرومانية.



3.2 نتائج ثورة فيرموس:

كانت ثورة "فيرموس" حركة اجتماعية قومية تحررية، استمرت من سنة 372م إلى سنة 375م. استطاع فيها القائد الموري أن يجمع القبائل المورية بالتنسيق مع الحركة الدوناتية والدوارين لتخليص نوميديا والموريطانيتين من الهيمنة الرومانية. كما سعى جادا إلى توحيد كل القبائل وأقاليم المغرب القديم في وحدة قومية قوامها الحرية والحفاظ على الهوية المحلية بالتخلص من الاستعمار الروماني.

وقد فقدت القبائل المورية والحركة الدوناتية والدوارين بعد ثورة "فيرموس"، سندا قويا ومعبرا حقيقيا عن طموحاتهم التحررية. فقد أصدر الإمبراطور "فالنتنيانوس الأول" -في خضم المواجهات العسكرية بين "تيودوز" و"فيرموس"-قانونا في 20 فيفري سنة 373م موجه إلى بروقنصل إفريقيا "يوليانوس" (Julianus) ينص على منع وتحريم إعادة التعميد الذي يمارسه الدوناتيون، ويأمره بعزل أي أسقف لا يمتثل لذلك القانون [117].

اعتلى "غراتيانوس"(Gratianus) العرش الإمبراطوري بعد وفاة والده الإمبراطور "فالنتنيانوس الأول " في سنة 375م وهو ابن ثماني سنوات. وقد واصل سياسة والده بشيء من الصرامة، فأصدر مرسوما في 22 أفريل سنة 376م ينص على مصادرة الأماكن التي تعقد فيها اجتماعات المنشقين الدوناتيين، وهدد حكام الأقاليم الذين يتساهلون مع الدوناتيين لعقد تلك الاجتماعات بعقوبات صارمة [118].

ووجه مرسوما ثانيا إلى "نيكوماكوس فلافيانوس" (Nicomachus Flavianus) كاهن إفريقيا في 17 أكتوبر سنة 377م، يؤكد فيه الإجراءات السابقة الخاصة بمنع إعادة التعميد، ومنح كنائس الأساقفة المنشقين المتهمين بإعادة التعميد إلى الكاثوليك، مع مصادرة منازلهم وممتلكاتهم التي يثبت عقد الاجتماعات بها [119].

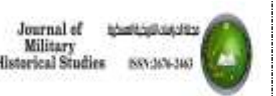
لقد سعى الإمبراطور"فالنتنيانوس الأول" في عهده وفي عهد خلفائه من بعده -من خلال تلك الإجراءات-إلى حماية الكاثوليك والقضاء على الدوناتية بعد ثورة "فيرموس"، وكان يرى ضرورة معاقبة المنشقين الدوناتيين الذين تحالفوا مع "فيرموس" حتى لا يشكلوا أي خطر على روما في المستقبل. يبدو أن هذه السياسة قد نجحت إلى حد ما، فقد حدث انشقاق داخل الحركة الدوناتية في الفترة 370-375م، حيث قام الأسقف الدوناتي "روقاتوس" (Rogatus) أسقف مدينة "كارتناي" (Cartennae) "تنس حاليا" في موريطانيا القيصرية بفك الارتباط مع الكنيسة الدوناتية والانشقاق عنها وتأسيس الكنيسة الروقاتية [120] وهي كنيسة مستقلة انشقت عن الكنيسة الدوناتية [121].

استخدم الكونت "تيودوز" كل الأساليب لتركيع القبائل وفك ارتباطها مع "فيرموس"، من تخريب للضياع وحرق للمدن وتدمير لمخازن الغداء والمؤن، والتنكيل بالسكان وتعذيب وقتل كل من كانت له علاقة بالأمير الموري. فقد قام "تيودوز" بقطع أيدي وأرجل أفراد فيلقين تابعين لجيش إفريقيا من خلاف، ووجه التهديد والوعيد للقبائل المورية. فقد هدّد أمير قبائل "إيزفلانس" (Isaflenses) الذي سأل "تيودوز": «**من أنتم؟ وما هدف مجيئكم إلى هنا؟** » فرد عليه القائد الروماني قائلا : « **أنا كونت الإمبراطور فالنتنيانوس، سيد الإمبراطورية الرومانية، أرسلني للقضاء على قاطع طريق يستحق عقوبة الإعدام، إذا لم تسلموه لي حالا، فإنك ستباد أنت وشعبك بمقتضى القرار الذي أصدره الإمبراطور الذي لا يقهر** » [122].

وهكذا استطاعت حملة "تيودوز" تفكيك تحالف القبائل المورية -ولو لبعض الوقت-وكرست سياسة "فرق تسد" من خلال خيانة "إقمازن" زعيم قبائل إيزفلانس، وإضعاف حيوية الحركة الدوناتية وحركة الدوارين.

3. انتفاضة "جيلدون":

1.3ظروف قيام الانتفاضة:



كان "جيلدون" قد وطّد علاقاته مع روما وصلت إلى حد المصاهرة مع "تيودوز" حيث طلب هذا الأخير يد "سالفينا" (Salvina) ابنة "جيلدون" إلى أحد أقربائه المدعو "نبريديوس" (Nebridius) وهو ابن أخت زوجة "تيودوز" "أيليا فلاكيلا" (Aelia Flaccilla)، والذي تربى في القصر الإمبراطوري مع "هونوريوس" و"أركاديوس" (123).

كانت مقاطعة موريطانيا القيصرية -حسب رواية "كلوديانوس"(124) -مقاطعة عسكرية هامة تتوفر على إمكانيات وقدرات سمحت لـ "جيلدون" بالدفاع عن إفريقيا من أي عدو داخلي أو خارجي، والتي يمكن أن تصبح خطيرة في حالة ما إذا قرر "جيلدون" التمرد على السلطة الرومانية، وهو ما حدث فعلا (125). أدرك "جيلدون" بعد تحالفه مع روما مدة 12 سنة (375-387م) حكم خلالها إفريقيا عقب سقوط أخيه "فيرموس" أهمية الانفصال عنها، وهي التي ظلت تطلب منه المؤونة والمساعدات كلما دعت الحاجة إلى ذلك (126). فقد رفض "جيلدون" – وبجرأة-طلب الإمبراطور "تيودوسيوس الأول"(127) مده بالمساعدات في حربه ضد الوثني "أوجينيوس" (Eugenius) في سنة 393م بروما (128).

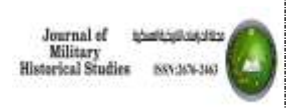
كانت الإمبراطورية الرومانية تعيش في أواخر القرن الرابع الميلادي حالة من الاضطراب الداخلي والأخطار الخارجية. وتجلى ذلك في اغتيال الإمبراطور "غراتيانوس" (Gratianus) (129) على يد خصمه " بترون ماكسيم" (Maxime) قرب ليون في غاليا "فرنسا حاليا" في 25 أوت سنة 383م. وبذلك أصبحت مقاطعات بريطانيا وإسبانيا وغاليا تحت سيطرته، أما مقاطعات إيطاليا وإفريقيا فقد عادت إلى الإمبراطور "فالنتنيانوس الثاني" (130) Valentinianus II (131).

واحتدم الصراع بين الطرفين حيث استطاع "ماكسيم" طرد "فالنتنيانوس الثاني" من إفريقيا في سنة 387م، إلا أن "تيودوز" تمكن منه وقتله في سنة 388م (132). وقد ذكر نقش قسنطينة ثلاثة أباطرة كانوا يحملون لقب "أغسطس" (Auguste) حكموا خلال الفترة (383-392م) وهم: "فالنتنيانوس الثاني"، "تيودوز" و"أركاديوس" (133). كان الإمبراطور "غراتيانوس" يحتل الصدارة في الإهداءات الإمبراطورية قبل اغتياله سنة 383م، حينما كان أربعة أباطرة يحكمون الإمبراطورية. فقد قام "تيودوز" قبل وفاته سنة 395م بتقسيم السلطات الإمبراطورية إلى قسمين على ولديه، الغرب بقيادة "هونوريوس"(134) والشرق يحكمه "أركاديوس"(135). وكان "هونوريوس" في سن الثامنة لما توفي "تيودوز"، والأباطرة الأربعة هم: "غراتيانوس"، "فالنتنيانوس الثاني"، "تيودوز" و"أركايوس" الذي أشركه والده في الحكم وهو ابن السادسة من العمر سنة 383م (136). وقد حمل نقش "جغتيس" (Gigthis) "هنشير جوف بوغرارة" حاليا في تونس أسماء أربعة أباطرة هم: "ماكسيم" إلى جانب "فالنتنيانوس الثاني"، "تيودوز"، و"أركاديوس" وهذا إلى غاية سنة 388م (137). أما نقش هنشير الأبيض (138) المؤرخ خلال الفترة من شهر أوت سنة 388م إلى شهر مارس سنة 392م، فلم يذكر سوى أسماء ثلاثة أباطرة أي ما بين وفاة الإمبراطورين "ماكسيم" و"فالنتنيانوس الثاني" (139).

تزعزعت أركان الإمبراطورية الرومانية إثر انقسامها عقب وفاة "تيودوز" سنة 395م. وقد استغل "جيلدون" تلك الأوضاع وقطع كل صلة تربطه بـ"هونوريوس" إمبراطور الغرب، وأحال إفريقيا إلى إمبراطورية الشرق معترفا بسلطة "أركاديوس" (140).

2.3 وقائع انتفاضة جيلدون:

بدأ "جيلدون" تنفيذ مخططه بتوقيف وتعطيل أسطول قرطاجة الذي يحمل قمح إفريقيا إلى مدينة روما (141). كانت إفريقيا تشكل مصدر حياة أو موت بالنسبة لإمبراطورية الغرب. فمنذ انقسام الإمبراطورية كانت المقاطعة الإفريقية توفر لوحدها حاجيات روما من القمح، في حين يوجه قمح مصر إلى القسطنطينية عاصمة إمبراطورية الشرق(142). هل كان "جيلدون" يسعى إلى تحقيق طموحاته في الاستقلال عن السلطة الرومانية؟ أم أن علاقة المصاهرة مع "تيودوز" هي التي دفعته إلى الانفصال بحكم مستقل عن الغرب والارتباط بالشرق مستغلا بعد المسافة بين إفريقيا والقسطنطينية عاصمة الإمبراطورية؟.



استغل "جيلدون" الظروف التي كانت تمر بها الإمبراطورية الرومانية ومنها التنافس والصراع بين "ستيليكون" (Stilichon) و"روفين" (Rufin) وهما وزيري "هونوريوس" و"أركاديوس". وكان يرى أن الفرصة سانحة لتحقيق طموحاته في تكوين مملكة مستقلة عن السلطة الرومانية. فبعد توقيف الأنونا، قطع صلته مع "هونوريوس" في سنة 397م واعترف بسلطة "أركاديوس" الذي صارت مراقبته لإفريقيا مستحيلة نظرا لبعد المسافة [143].

في تلك الأثناء، حمل "ستيليكون" -وهو صاحب السلطة الحقيقي في إمبراطورية الغرب Magister militum– مجلس الشيوخ الروماني على أن يصدر قرارا (Consulte Sénatus) يعتبر فيه "جيلدون" عدوا للشعب الرومان [144] (hostis Publicus). واتخذ "ستيليكون" إجراءات سريعة لضمان تموين روما بالقمح بمصادرة قموح غاليا وإسبانيا [145].

ثم جهّز جيشا [146] قوامه خمسة آلاف (5000) مقاتل من الجرمان والغاليين والفرق المساعدة (Auxiliaires) بقيادة "ماكزيزل" (Maczezel) أخ "جيلدون" الذي انطلق بجيشه من ميناء بيزا (Pise) ليصل إلى ميناء قرطاجة سنة 398م [147].

ومن جهته كان جيش "جيلدون" يتألف من الموريين والجيتوليين والوثنيين والدوناتيين والدوارين. وأعلن عن مبادئه التي تتلخص في احتضان كل الذين يحلمون بالاستقلال الوطني، والكفاح ضد الديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية [148]. ويبدو أن الأسباب التي دفعت "فيرموس" إلى الثورة هي نفسها التي شجعت "جيلدون" على التمرد.

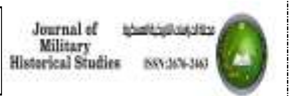
يذكر "بول أوروز" أن جيش "جيلدون" بلغ حوالي سبعون ألف (70.000) رجل بعدما تلقى الدعم من قبائل "النازامون" (Nassamons) و"الغرامنت" (Garamantes) و"النازاك" (Nazaques) التي قدمت من طرابلس [149]. (خريطة 2)

كان "ماكزيزل" قد مكث في موريطانيا بعد هزيمة أخيه "فيرموس". لكن بمجرد أن تحكم "جيلدون" في مصير المقاطعة، لجأ إلى روما بعد أن نجا من محاولة اغتياله، وترك ولدين أمر "جيلدون" باغتيالهما. لهذه الأسباب اختار "ماكزيزل" صف الرومان ضد أخيه "جيلدون"[150]. أبحر "ماكزيزيل" بجيشه من "بيزا" سنة 398م متجها إلى جزيرة سردينيا [151] ومنها إلى قرطاجة ثم إلى "أماديرا" [152] (Ammaedera) حيث التقى بجيش أخيه "جيلدون" ودارت المعركة قرب نهر "أرداليو" Ardalio (واد حيدرة حاليا) (خريطة رقم 3) بين "تيفست" Theveste (تبسة حاليا) وحيدرة (في تونس حاليا).

لقد سكتت المصادر عن الظروف التي ساهمت في هزيمة "جيلدون" الذي حاول الفرار عبر البحر والتوجه إلى القسطنطينية حيث توجد ابنته "سالفينا" (Salvina). إلا أن أمواج البحر رمته على ساحل مدينة "طبرقة" (Thabraca) حيث ألقي عليه القبض وأودع السجن واختار موتة أخيه "فيرموس" حتى لا يقع أسيرا في أيدي الرومان[153]. وقد عثر على نقشين في فوروم روما أحدهما يذكر هزيمة "جيلدون" والثاني يُمجّد "ستيليكون" و"هونوريوس" و"أركاديوس" [154].

يبدو أن "جيلدون" بقي وثنيا حتى توفي عكس إخوته "فيرموس" و"ماكزيزل"، ورغم العلاقات التي أقامها مع الأساقفة الدوناتيين ومع البلاط الإمبراطوري في عهد "تيودوز" فقد دفن في كنيسة كاثوليكية [155]. وقد تلقى "جيلدون" الدعم والمساندة في ثورته من بعض الأساقفة الدوناتيين من أبرزهم "أوبطاتوس" Optatus de Thamugadi أسقف كنيسة "تاموقادي" (تيمقاد حاليا) الذي كان مستشارا له، ولعب دورا بارزا في قيادة الرجال وتجنيد فرق من الدوارين لتدعيم "جيلدون"، لذلك لقب بـ"الجيلدوني" (Gildonianus). وبعد هزيمة "جيلدون" تم القبض عليه وتوفي في السجن سنة 398م [156].

تعود هزيمة "جيلدون" – حسب " ش. أ. جوليان"-رغم عدد جيشه الذي بلغ حوالي سبعون ألفا أمام جيش أخيه "ماكزيزل" الذي لم يتعد 5000 مقاتل إلى تخاذل بعض شيوخ القبائل الذين تخلوا عن القتال والحرب على أشدها بعدما اشتريت ضمائرهم [157].



أما "أ. مرسييه" (E. Mercier) فيرجع الهزيمة إلى قلة الأسلحة وهي عبارة عن سهام ورماح بسيطة فضلا عن قلة الخبرة وضعف التدريب، عكس جيش "ماكزيزل" المنظم والمسلح والذي يقاتل وفق خطط عسكرية مكنته من إحراز الانتصار في ظرف أربعة أيام من المواجهة في سنة 398م[158]. وقد لقي "ماكزيزل" نفس المصير الذي لقيه أخوه "جيلدون" وهو حليف الرومان. فبعد عودته إلى روما استقبل بحفاوة بالغة الأمر الذي أثار الشكوك والغيرة في نفس "ستيليكون" (Stilichon)، وبدل تكريمه ومكافأته رماه في أحد الأنهار فمات غرقا أمام أعينه.[159] هكذا كان مصير أبناء "نوبل"، تلك العائلة الملكية التي حالفت الرومان تارة وناصبتهم العداء تارة أخرى، باغتيال "ماكزيزل"(Maczezel) آخر إخوة "فيرموس".

3.3 نتائج انتفاضة جيلدون :

كان القمع الذي سُلِّط على أنصار "جيلدون" -بعد هزيمته-قاسيا، إذ نال الدوناتيون نصيبا منه. فقد مات "أوبطاتوس" (Optatus) أسقف تاموقادي في السجن، وهو الذي كان مستشار "جيلدون" وروح المقاومة، وقد تم تكريمه كشهيد من طرف أنصاره. كما قُتل بعض قادة القبائل، وبعضُهم سجن، وتعرض البعض الآخر للنفي والإبعاد والحظر [160].

وفي هذا الإطار صودرت ممتلكات "جيلدون" ومناصريه، بعدما صدرت مجموعة من القوانين الإمبراطورية خلال الفترة من 398م إلى 409م تتعلق بالمصادرات والمتابعات ضد المتواطئين مع "جيلدون" [161]. وكانت ثروة وممتلكات "جيلدون" من الكثرة مما استوجب تعيين متصرف خاص بها تحت قيادة كونت Comes Gildoniaci Patrimonii، ودرت على الخزينة الرومانية أرباحا طائلة [162]. كما ضغط نبلاء الضيعات الكبرى (Landlords) على فلاحيهم حتى يعودوا إلى الكاثوليكية. وفي هذا الصدد يشير "مونصو" إلى ذلك: « **كانت الدعوة إلى الكاثوليكية في هذه البلاد التي تكثر فيها الضيعات الكبيرة يعين على نشرها بنجاعة كبار الملاك الذين يسعون هم بأنفسهم إلى تنصير معمريهم، وإلى إعادة الوحدة الدينية في أراضيهم بنوميديا**» [163]. نستنتج من هذا النص أن الفلاحين والمعدمين تعرضوا إلى ضغوطات كبيرة من السلطة الرومانية حتى يخضعوا إلى سلطة الكنيسة. فقد كانت الكاثوليكية بالنسبة للأسياد ضمانا لخضوع طبقة الفلاحين المعدمين إليهم.

يبدو أن "جيلدون" كان يملك ثروة طائلة منتشرة في مناطق متباعدة في المغرب القديم[164]. وهذا ما يدحض ادعاءات روما بأن الثورات المرتبطة بالحركة الدوناتية والتي تحالفت معها كانت نتيجة الفقر أو بدافع السلب والنهب. كان "جيلدون" وإخوته ينتمون إلى عائلة ملكية تملك إقطاعات واسعة في المغرب القديم. فالثورات التي قادتها عائلة "نوبل" لم تكن مطالبها اقتصادية بل هي ثورات اجتماعية غذّتها حماسة الجماهير التواقة إلى تحرير المضطهدين والعبيد والعمال الفلاحيين.

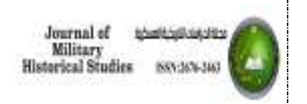
4. خاتمة:

توصلت الدراسة التي بين أيدينا إلى مجموعة من النتائج نوجزها فيما يأتي:

-كانت ثورة "فيرموس" ثورة قومية تحررية ذات أبعاد سياسية اقتصادية واجتماعية ودينية. فقد استهدفت تحرير سكان شمال إفريقيا من ربقة الاستعمار الروماني وعبوديته، واستعادة أراضيهم وممتلكاتهم وخيراتهم وحقوقهم المشروعة.

-استطاع "فيرموس" مواجهة روما مدة أربع سنوات وكبدها خسائر فادحة. إلا أن الخيانة الأخوية أدت إلى اندحار مقاومته وإفشال مخططه الرامي إلى توحيد شمال إفريقيا من نهر الملوشة Mulucha (ملوية) غربا إلى طرابلس شرقا بطرد المستعمر الروماني وحلفائه.

-إن هزيمة "جيلدون" وقبله أخوه "فيرموس" كانت بسبب الخيانة بين الإخوة التي غذّتها السلطة الرومانية، ونتج عن ذلك خضوع القبائل المورية للاستعمار الروماني. كما كانت من العوامل الأساسية التي ساهمت في فشل الكثير من الحركات النضالية المقاومة في المغرب القديم، من أجل نيل الحرية وتحقيق الاستقلال.



-انتشار ظاهرة الخيانة وهي ظاهرة غريبة في تاريخ المغرب القديم بين صفوف القادة والزعماء والملوك الموريين مثل: "فيرموس" وإخوته "جيلدون" و"ماكزيزل" و"سماك" وغيرهم من عائلة "نوبل". إلا أن هناك من استفاق وعاد إلى وعيه ليشعل نار الحرب ضد الغزاة الرومان، وهناك من تمادى في غيه وخيانته لوطنه حفاظا على مصالحه وامتيازاته فكان مصيره مثل سابقيه.

-كانت انتفاضة "جيلدون" من الحركات الثورية التي ميّزت القرن الرابع الميلادي، وتحولت من انتفاضة اجتماعية إلى حركة ذات مطالب تحررية دينية بعد تحالفها مع الدوناتيين والدوارين، لتواجه الكنيسة الكاثوليكية الرسمية وحليفتها السلطة الزمنية بهدف تقويض أركان الاستعمار الروماني في المغرب القديم.

-شكّلت ثورة "فيرموس" وانتفاضة أخوه "جيلدون" إحدى الأسباب غير المباشرة في زوال الإمبراطورية الرومانية وانقراضها في شمال إفريقيا. عكس ما كان يروج له المؤرخون الكلاسيكيون من أمثال "أميان مارسلان" Ammien Marcellin والمحدثين مثل: "روني كانيا" R. Cagnat و"ستيفان غزال" S. Gsell من أن هذه الثورات والانتفاضات ما هي إلاّ محاولات يائسة تهدف إلى اغتصاب للسلطة وحركة تمرّد وعصيان ضد السلطة الرومانية.

5. الهوامش:

[1]- Courtois (Ch.), 1955, **les Vandales et l'Afrique**, Paris, Art et Métiers Graphiques. P. 89.

[2]- هي كنفدرالية قبائل – كما ذكرتها المصادر اللاتينية تتمركز في المنطقة الجبلية بين "روسوكورو" (Rusucurru) "دلس" حاليا و"صلداي" (Saldae) "بجاية" حاليا، وتتكون من القبائل التالية: ماسينيسن Masinissenses، وتيندن Tyndenses، وايسفلن،Isaflenses، ويوبلاني Jubaleni، وييسالن، Iesalenses.

Ammien Marcellin, XXVIII. 6,26 ; XXIX, 5,2 ; XXX, 7,10 ; Galand (L.), les Quinquegentanei, B.A.A., t. 4, 1970, pp. 297-299.

[3]- Cagnat (R.), **l'armée Romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs**, imprimerie Nationale E. Leroux, Paris, 1913, pp.63-64.

[4]- **البوار** أو البابار في بعض النصوص، من أكثر القبائل المورية شهرة في المصادر الأثرية، حيث ورد ذكرهم في حوالي خمسة عشر نقيشة لاتينية أمكن التأكد منها حتى عام 1955م، وذلك في مواقع عديدة شملت المقاطعة الطنجية والقيصرية والنوميدية. وصفتهم النقوش اللاتينية بالشعب الكبير Gentis Multus، ظهروا على مسرح الأحداث خلال القرن الرابع الميلادي، وينقسمون إلى بوار غربيين وبوار شرقيين. -Camps (G.), les Bavares, Peuples de Maurétanie Césarienne, Rev. Afr., t.99, 1955. p.277 ; Thouvenot (R.), **Rome et les Barbares Africains**, à Propos d'une Inscription de Volubilis, Publications du Service des Antiquités du Maroc, VII. 1945, p. 181.

[5]- شنيتي محمد البشير، **التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 315.

[6]-Ammien Marcellin, XXVIII, 6, 26 ; XXIX, 5, 2 ; XXX, 7,10.

[7]-Paul Orose, VII, 33, 5.

[8]- Claudien, De Bello Gildonico (Guerre de Gildon), Trad. V. Crepin, Paris, 1933.

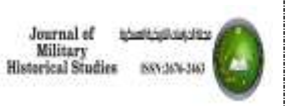
[9]- Zosime, Histoire Nouvelle, Ed. F. Paschoud. Coll. Univ. de France, 1971, IV, 16.

[10]- Aurélius Victor, Epitomé, XLV, 7.

[11]- Augustin (St.), Epist., LXXXVII, 164 ; Contra Epist. Parmen., I, 10, 17.

[12]- C.I.L., VIII, 20914 ; Gsell (S.), **Recherches Archéologique en Algérie**, Ernest Leroux, Paris, 1893, pp. (1-9).

[13]- ذكرته بعض المصادر باسم Nuvel، تعود أصوله حسب أميان مارسلان إلى قبيلة " يوبلاني" Jubaleni في ضواحي "أوزيا"Auzia "سور الغزلان" حاليا بموريطانيا القيصرية، وكان له سبعة أبناء هم: ساماك Sammac , Zammac، "مازوكا" Mazuca –Mazucan، "ماكزيزيل" Maczezel، "ديوس" Dius، فيرموس Firmus وجيلدو Gildo، و بنت تدعى كيريا Kyria. وكان نوبل يقيم في قلعة بفج بني عيشة التي تحتل



موقعا استراتيجيا بين شرق سهل متيجة ومنطقة القبائل، وكان يتولى مهمة مراقبة المنطقة ويضمن الأمن للسلطة الرومانية في هذا الموقع، توفي حوالي 370م، لأن ثورة فيرموس بدأت في 372م. - Gsell (S.), Observations géographiques sur la révolte de Firmus, R.S.A.C., (souvenir du cinquantenaire 1853-1903), Vol. 35è, 1903, pp. 21-46 ;Ammien Marcellin, XXIX, 5,44 ;Camps (G.),Rex Gentium Maurorym Romanorum, **Recherches sur les royaumes de Maurétanie des VI et VII siècles**, Ant. Afri., t. 20, 1984, pp (183-218), p. 185.

[14]- Gsell (S.), La basilique de Rusguniae (Algérie) découverte par le lieutenant Chardon, in :C.R.A.I., 44e année, N. 1, 1900. pp. 48-52. (p.49).

[15]- C.I.L., VIII, 9255.

[16]- C.I.L., 9011.

[17]- Ammien Marcellin, XXIX, 5, 12.

[18]- C.I.L., VIII, 9613.

[19]- Gsell (S.), A.A.A., f.5, Alger, n° 48.

[20]- Gsell (S.), Observations Géographiques…, pp. (21-46).

[21]-Tigava Castra ، هي مدينة الخربة El- Kherba حاليا، حصن بن عباس – حسب غزال- ذكر في مسلك أنطونينوس، يبعد بحوالي 32 ميلا (53 كلم) عن حصن Oppidum Novum "عين الدفلى حاليا"، وبحوالي 22 ميلا (35 كلم) عن "تيجيتي" Tigitii "الشلف" حاليا، كانت به كنيسة وأسقف، إلا أنها دمرت أثناء ثورة فيرموس في حوالي 370م، ويسمى حاليا قصر سلطان ويقع على الضفة اليمني لوادي الشلف، وغرب رافده وادي طاريا. - Gsell(S.), A.A.A., f.13, Miliana, 64 ; Pierre Salama, **Nouveaux milliaires chrétiens de la vallée du Chélif en Maurétanie césarienne**, Afri.Rom., V.III, 2004, p.1711.

[22]- Oppidum Novum ، هي خرائب حصن روماني يقع عل بعد 2 كلم شمال غرب عين الدفلى حاليا. Gsell(S.), A.A.A., f.13, Miliana, 63 ; Salama (P.), Afri. Rom., VIII, 2004, p. 1711.

[23]- C.I.L., VIII, 10946 ; Ammien Marcellin, XXIX, 5,20.

[24]- Gsell (S.) , **Observations Géographiques** …, Op.cit., pp. (21-46).

[25]- Winkler, **Pièces de l'histoire de Campagne d'Afrique de Théodose contre Firmus** (372-375), R.T., 1908, p.37.

[26]- Cagnat (R.), **L'armée Romaine d'Afrique**…, Op.cit., pp.70.

[27]- شنيتي محمد البشير، **الجزائر في ظل الاحتلال الروماني**، ج 2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص ص 353-354.

[28]- Procope, **Histoire des Guerres des Romains, des Byzantins et des Vandales**, par Dureau de la Malle, Firmin Didot, Paris, 1852, pp.193-194.

[29]- Courtois (Ch.), **les Vandales et l'Afrique**…, Op.cit., pp. 144-145.

[30]- Brisson (J.P.), **Autonomisme et Christianisme**…, Op.cit., p.341.

[31]- Cagnat (R.), **l'armée Romaine**…, Op.cit., pp. 78-97.

[32]- الأوستورياني -Austuriani، هي قبيلة هوارة المعروفة بالمقاطعة الطرابلسية حتى الفترة الإسلامية، وهي قبائل أمازيغية كانت مضاربها مجاورة لمقاطعة طرابلس، تعيش على القتل والنهب والاغتصاب، حسب الشاعر "كوريبوس" الذي يسميها "الأوستوريس" Austures.- Corippus, Joh., II, 87-109; VI, 108; VII, 302-304 ; Tauxier, (H.), "Récits de l'histoire d'Afrique, le comte Romanus." Rev. Afr.,**t .34**, 1890,(pp.193-222), p.193.

[33]- Ammien Marcellin, XXVIII,7,10,13.

[34]- Ammien Marcellin, XXVI, 9,1,2.

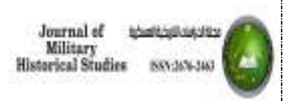
[35]- Cagnat (R.), l'armée Romaine…, Op.cit., pp. 77-78.

[36]- Cagnat (R.), l'armée Romaine…, Op.cit., pp. 78-79.

[37]- Augustin (St.), **Contra Epistulam Parmeniani**, XXI, 11, 2.

[38]- C.I.L., VIII, 9259.

[39]- Gsell (S.), **Observations Géographiques**…, Op.cit., p.24-25.



[40] - محمد البشير شنيتي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، المرجع السابق، ص 359.

[41]- Ammien Marcellin, XXIX ,5,46.

[42]- Courtois (Ch.), les Vandales et l'Afrique…Op.cit., p.124.

[43]- Cagnat (R.), l'armée Romaine…, Op.cit., p.73.

[44]- Ammien Marcellin, XXVIII, 6,5 ; Pflaum (H.G.), les Vandales et l'Afrique, Rev. Afri., n° 101, 1957, p.148.

[45]- Cagnat (R.), l'armée Romaine…, Op.cit., p.72.

[46]- شينتي محمد البشير، **الجزائر في ظل الاحتلال الروماني**، المرجع السابق، ج2، ص.361.

[47]- Cagnat (R.), l'armée Romaine…Op.cit., p.80.

[48]- Ammien Marcellin, XXIX,5,48,49 ; Aurélius Victor, Epitomé, XLV,7.

[49]- Gsell (S.), Observations Géographiques…, Op.cit., p.21.

[50]- Id., C.R.A.I., 1901, p. 170.

[51]- Ammien Marcellin, XXIX , 5,12.

[52]- أشار أميان مارسلان أن مصطلح Fundus يعني قصر أحد الملاك الكبار، وذكر قصر بترا هكذا:FundusPetrensis). (عن موقع القصر أنظر الخريطة رقم 1). Ammien Marcellin, XXIX, 5,13. ; Février (P.A), **Approches du Maghreb Romain, Pouvoirs, Différences et Conflits**, II, éditions Edisud, Aix- En- Provence, 1990, p.151.

[53]- C.I.L., VIII, 9613.

[54]- Orose (P.) , VII, 33, 5.

[55]-Ammien Marcellin, XXIX,16,18,42.

[56]- Cagnat (R.), **L'armée Romaine**…, Op.cit., pp. 80-81 ; Février (P.A.), Approches.., p151.

[57]- روسوبيكاري، Rusubbicari هي مدينة "مرسى الحجاج" حاليا تقع شرق رشقونيا Rusguniae (برج البحري حاليا) ، وتبعد عنها بحوالي 34 كلم.Gsell (S.), A.A.A., f.5, Alger, 51.

[58]-Augustin (St.), Lettres, 87,10.

[59]- Ammien Marcellin, XXIX, 5, 4.

[60]- **بانونيا** (Pannonia)، منطقة قديمة في أوربا الوسطى، تشمل حاليا شرق النمسا وغرب المجر وكرواتيا، سكانها من أصول كلتية (Celtes)، تعرضت للغزو الروماني في عهد "أوكتافيوس أغسطس" (Octave Auguste) سنة 35 ق.م وأخضعها في سنة 9 ق.م. للمزيد أنظر أعلاه، ص 316. Dict. Univ. Hist. Géo., p. 1420.

[61]- Zosime, IV, 16.

[62]- Lacroix (L.), **Histoire de la Numidie et des Maurétanies**, p.84.

[63]- Cod. Theod., VIII, 7,12, 13.

[64]- Cagnat (R.), l'armée Romaine…, Op.cit. p.81.

[65]-حارش محمد الهادي، **دراسات ونصوص في تاريخ الجزائر**، دار هومة، الجزائر، 2001، ص 66.

[66]- Robert (Achille.), **Notes sur les ruines de Castellum –Auziense (Ain- Bessem),** R.S.A.C., t.37, 1903, pp. (49-54), p.51.

[67]- هي مدينة تيكلات Tiklat تبعد بحولي 15 كلم جنوب غرب مدينة بجاية. Gsell (S), Observations Géographiques…, Op.cit., p.32.

[68]- يرى بول Poulle أن قبائل تيندن تقطن حاليا في إقليم أفناين وبني وغليس وآيث عامر وبذلك فهي تسكن منطقة تقع بين تيكلات وآقبو. - Poulle (A.), Inscriptions d'El-Madher (Casae) et des environs, R.S.A.C., XIII, 1869, p.706.

[69]- تعرف أيضا بقبائل إمسيسن Msisna ، وهي قبيلة أمازيغية تقطن حاليا في منطقة محصورة بين وادي الساحل (الصومام) ورافده الأيمن وادي آقبو. Poulle (A), A travers la Maurétanie Sitifienne, R.S.A.C., VII, 1863, p.137 ; Tissot (Ch.), Géogr. Comp., I, p.452.

[70]- تقع هذه الملكية Fundus Petrensis في منطقة "ملاكو"M'lakou على بعد 25 كلم إلى الجنوب الغربي من "تيكلات"، وهو ما يدل عليه نقش عثر عليه في المنطقة، ويفهم من النقش أنها ممتلكات "ساماك" Sammac. Gsell (S.), Inscriptions d'Ighser Amokrane (Kabylie), C.R.A.I., 1901, p.170.

[71]- Cagnat (R.), l'armée Romaine…, Op.cit., p. 83.

[72]- Gsell (S), Observations Géographiques …, Op.cit., p.35.

[73]-Mercier (E.), Histoire de l'Afrique septentrionale (Berbérie), Paris, Ernest. Leroux, 1888, p.134.

[74]- **المازيك أوالمازيس**: عشيرة كانت تسكن شرق تيبازة – حسب ديرو دي لامال-في منطقة جبلية تفصل نوميديا عن السطيفية تنتمي إليها قبائل أمازيغية كثيرة. ويرى غزال Gsell أن اسم المازيس يتطابق مع قبائل بني مناصر-قرب شرشال حاليا-، وقد أسندت هذه التسمية إلى عدة قبائل في شمال إفريقيا. و قد عثر على عدة نقوش ليبية تحمل مصطلحات متقاربة مع المازيس مثل: Mzica, Mazic, Mazzic, Mazix, Mazik. Gsell (S.), Observations Géographiques…, Op.cit., pp.33-34 ; Tissot (Ch.), Op.cit., I, p.452 ; Dureau de la Malle, Recherches sur l'histoire de la Partie de l'Afrique Septentrionale, Op.cit., p.54 ; Leveau (Ph.), l'aile Π des Thraces, la tribu des Mazices et les praefecti gentis en Afrique du Nord. , Ant. Afri., t. 7, 1973, pp. 153-192.

[75]- Cagnat (R.), l'armée Romaine…, Op.cit., p.85.

[76]- Robert (Achille.),**Notes sur les ruines de Castellum –Auziense (Ain- Bessem),** Op.cit., p.52 ; Mercier (E.), Histoire de l'Afrique Septentrionale, p.131.

[77]- اختلف المؤرخون في تحديد موقع "بانكاريانا" إلا أن "بول" و"وينكلير" يميلان إلى وجوده في المكان المسمى "كناس" (Kannas) قرب الوادي الكبير بين جيجل والقل، ويرى "كانيا" أنه على طريق لمبازيس (Lambaesis). Poulle (A.), R.S.A.C., VII, 1863, p.137 ; Winkler (A.),Précis d'histoire des Campagnes d'Afrique de Théodose Contre Firmus (372-375) In R.T., t.15, 1908, p.137 ; Cagnat (R.), Op.cit., p 83.

[77]- Cagnat (R.), l'armée Romaine…, Op.cit., p.84.

[78]- لم يتمكن المؤرخون من تحديده، إلا أن "بول" Poulle حاول تحديده بخرائب مسناوة (Mesnaoua) عند قبائل "بني وغلي" (Beni-Oughli) على نهر "غمنوا" (Ighzer-Amnoua) قرب قرية "بوملال" (Bou-Mellal). Poulle (A.), R.S.A.C., VII, p.139.

[79]- Cagnat (R.), l'armée Romaine…, Op.cit., p.84.

[80]- كانت "زوكابار" (مليانة حاليا) في تلك الفترة برتبة مستعمرة رومانية (Municipium Sugabarritanum) حسب بلين القديم. Pline l'ancien, V, 21

[81]- هي جبال زكار حاليا حسب العقيد "مرسي". Mercier (E.), B.C.T.H., 1888, p.96.

[82]- يتعلق الأمر بالفرقة الرابعة لرماة النبال (Sagittarii) وفرقة المشاة "فلافيا ويكتريكس" القسطنطينية (Flavia Victrix Constantini). Cagnat (R.), l'armée Romaine…, Op.cit., p.85.

[83]- قصر غايوناتيس، يقع قرب حصن تيغافاTigava Castra، ذكره "أميانوس" في إطار العمليات العسكرية التي قام بها الكونت "تيودوز" في منطقة الشلف، وقام بتدميره قبل أن يتوجه إلى "قلعة تينجيتانوم" Castellum Tingitanum (الشلف حاليا). Ammien Marcellin, XXIX, 5, 25; Gsell (S.), A.A.A., f.13, Miliana, 34

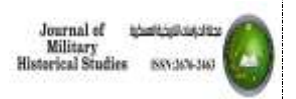
[84]- هي مدينة الشلف حاليا. Gsell (S.), A.A.A., f.12, n° 174.

[85]- أكد "غزال" و"لاكروا" أن المقصود بهذه الجبال هي الونشريس Lacroix (L.), Histoire de la Numidie., p.191 ; Gsell (S.), A.A.A., f.12, p.174.

[86]- Cagnat (R.), l'armée Romaine…, p.86.

[87]- يحتمل أنها بلاد قبيلة ذكرها "يوليوس هونوريوس" (Julius Honorius) باسم "موزوني" (Musuni) أو"موزوناي" Musunei وحسب لوحة "بوتنغر" فإنها تقع بين محطة "أد أوكولوم مارينون" Ad Oculum Marinune وجنوب سطيف. Gsell (S.), Observations…, Op.cit., p.37.

[88]- موقع غير معروف، يحتمل أن تكون السفوح الجنوبية لجبال الونشريس. Winkler, Op.cit., p.40.



[89]- Cagnat (R.), l'armée…,Op.cit., p.86 ; Philippe Leveau, **Recherches historiques sur une région montagneuse de Maurétanie Césarienne** : de Tigava Castra à la mer, In: M.E.F.R.A., t. 89, n°1. 1977. pp. 257-311, (p.302).

[90]- حاول بعض المؤرخين تحديد هذا الموقع، يرى "دي لامال" أنه يجب البحث عنه في منطقة بين تيبازة وأوزيا (سور الغزلان)، ولاحظ أن أحد أشقاء "فيرموس" يحمل اسم "مازوكا" (Mazuca) وأن هذه الممتلكات قد تكون تابعة له. بينما حاول "أ. مرسيي" تحديده بموقع دوار مازونة (Douar. Mazouna) على الطريق الروماني بين الشلف و"أرسوناريا" سيدي بوراس (Arsenaria). ويرى "غزال" أن "مازوكا" كان يسكن "تيغافا كاسترا" Tigava ويعد هذا دليلا كافيا على أن ممتلكاته تقع في منطقة الشلف. -Gsell (S.), Observations…, p.37 ; Dureau de la Malle, **Recherches Sur l'histoire de la partie de l'Afrique Septentrionale**, p.59 ; Mercier (E.), Op.cit., p.97 ; Desanges (J.), **Catalogue des tribus Africaines de l'Antiquité classique à l'ouest du Nil**, Dakar, 1962, p. 44.

[91]- Cagnat (R.), l'armée Romaine…, Op.cit., p.86.

[92]- Ammien Marcellin, XXIX,V, pp.243-244.

[93]- فاوض "تيودوز" بعض القبائل المجاورة لمنطقة تيبازة التي تحالفت مع "فيرموس" وهي "بايوراي كونتوريانى" Baiurae Cantauriani ، و "أفاستوماتيس" Avastomates ، و" كافافيس"Cafaves ، و" "دافارس" Davares ويرى " تيسو" أن قبائل "دافارس" Davares هي تحريف لقبائل "البوار" Bavares ، أما "دي لامال" فيحدد مضارب هذه القبائل بين أوزيا وتيبازة . Gsell (S.), Observations…, Op.cit., p.38 ; Dureau de la Malle, Op.cit., p.60 ; Tissot (Ch.), Op.cit., p.465.

[94]- يرى "س. غزال" أن هذه الجبال مجاورة لبلاد قبيلة آيت عبان التي لجأ إليها "فيرموس"، وأنها بعيدة عن ميدان العمليات العسكرية التي شهدتها تيبازة، لذلك فهي تقع بين شط الحضنة والصحراء Gsell (S.), Observations…, p.40

[95]- Cagnat (R.), l'armée Romaine…, Op.cit., p.87.

[96]- **آيث عبان،** Abennae ، قبيلة أمازيغية كانت تسكن منطقة جبلية تقع شمال غرب المسيلة حسب ما ذكره "تيسو"، وحسب "دوكري" فإن مضاربها كانت في جبال الحضنة. Tissot (Ch.), Géog. Comp., I, p.465; Decret (F.), **les Gentes Barbarae asservies par Rome dans l'Afrique du Ve siècle**, dans: Actes du IIe colloque international (Grenoble, 5-9 Avril 1983), Histoire et Archéologie de l'Afrique du nord, (pp.265-271), p.266.

[97]- Ammien Marcellin, XXIX, V, 45.

[98]- حاول "كات" Cat أن يثبت أن هذه الجبال تقع في منطقة المدية Médéa في سلسلة جبال التيطري، لكن دون أن يقدم أدلة على ذلك. Cat (M.), Essai sur la province Romaine de Maurétanie Césarienne, p.23.

[99]- Gsell (S.), Observations géographiques…, p.40.

[100]- Ammien Marcellin, XXIX, V, 44.

[101]- يرى "دي لامال" أن هذه القبيلة كانت تسكن سهول كرتولة (Cartoula) جنوب جبال جرجرة، ويعتقد "بربروجير" (Berbrugger) أنها تمثل أسلاف قبائل فليسة (Flissa). -Dureau de la Malle, Recherches…, p.63 ; Poulle (A.), R.S.A.C., XIII, 1869, p.706.

[102]- تكررت هذه العبارة عند المؤرخين القدامى وهم يتحدثون عن الأهالي وقادتهم. لذا نتساءل ما هو غرضهم من ذلك؟ هل كان ذلك ازدراء واستهزاء؟ أم هي عقدة التفوق؟

[103]- Cagnat(R.), l'armée Romaine…, p.88.

[104]- يرى "كانيا" أن قبائل "اليوبلاني" كانت تسكن جبال الأطلس إلى الجنوب من التيطري، أما قبائل إيزفلانس فتقطن الأودية التي تنحصر بين الأطلس وجرجرة، بينما يماثلهم "بربروجير" بقبائل الزواوة إذ يقرب المصطلح بالعربية "جبليين" Djebalin، خلافا لـ "غزال" الذي يرى أن موطن هذه القبائل غير بعيد عن أوزيا في منطقة تمتد من باب الحديد إلى مضائق "بالسترو" الأخضرية (Palestro). - Gsell (S.), Observations … géographiques, Op.cit., p.25 ; Cagnat (R.), l'armée Romaine…, p.88 ; Berbrugger, Epoques Militaires de la Grande Kabylie, p.219.

[105]- يرى "بربروجير" أن حصن أوديانس الذي ذكره "أميانوس" يتطابق مع قلعة لا زالت آثارها إلى القرن الماضي قرب عين بسام، وأن أوزيا Auzia تكون قد تهدمت على إثر ثورة سنة 297م، ومنذ تلك الفترة لم تصبح مركزا لليمس الأوزياني (Limes) ويقترح "كانيا" و"ماسكوري" تصحيح "أوديانس Audienses إلى أوزيانس" Auziensis باستبدال حرف الدال بالزاي، فكلاهما بمعنى واحد، ذلك أن حرفي "د" و"ز" قابلان للاستبدال في النطق والكتابة الافريقية. Ammien Marcellin, XXIX, 5,44 ; Cagnat (R.), l'armée Romaine…, p.88 ; Berbrugger, Op.cit., p.255 ; Masqueray (E.), Bull. de Corr.Afric., I, p.225.

106- Cagnat (R.), l'armée Romaine…, pp. 88-89.

107- هي برج مجانة حاليا في منطقة برج بوعريريج، ذكرتها المصادر القديمة بصيغ مختلفة :Munimentum Medianum عند "أميان مارسلان"، وعند "ميناج" Medianae Zabinorum، وذكرها "س.غزال" بـ:Castellum Medianum الذي يعتقد أنها تقع في موريطانيا القيصرية وتقترب أكثر من Munimentum التي ذكرها "أميانوس"، في حين أن "زابينوروم" Zabinorum يحتمل أنها مدينة تقع قرب سطيف وقد عثر على نقش على بعد 18 كلم جنوب غرب سطيف يذكر مدينة باسم: Medianum Mesnage (J.P.), l'Afrique Chrétienne, p.328 ; Gsell(S.), A.A.A., f.15, Akbou,79 ; f.16, Sétif, 418.

108- Ammien Marcellin, XXIX, 5,45.

109- Gsell (S.), Observations…,p.43.

110- Cagnat (R.), l'armée Romaine..., p.89.

111- Ammien Marcellin, XXIX, 5, 49-50.

112- Moreau (M.), la guerre de Firmus (373-375), R.H.C.M., t. X, 1973, pp.21-35.

113- Cagnat (R.), l'armée Romaine…, Op.cit., p.90.

114- حاول بعض المؤرخين مطابقة Subicarense مع: Rusubbicari وهو ما رفضته " كانيا" الذي يرى أن "روسوبيكاري" (مرسى الحجاج حاليا) تقع على الساحل، في حين ذهب " غزال" إلى أن قلعة "سوبيكارنس" Subicarense تقع قرب إقليم قبائل "إيزفلانس" Isaflenses في إقليم أوزيا أي في منطقة داخلية. Gsell (S.,) Observations Géographiques…, p.45.

115- Ammien Marcellin, XXIX, 5, 52, 53.

116- Mercier (E.),Histoire de l'Afrique Septentrionale, p. 135.

117- Cod. Theod., IX, 34, 7-8

118- Augustin (St.), Epist., 87,8 ; Cod. Theod., XVI, 5, 4 ; XVI, 6, 2.

119- Monceaux (P.), H.L.A.C., IV, p.47.

120- انشقاق داخل الكنيسة الدوناتية تزعمه أسقف كارتناي "روقاتوس" Ragatus في موريطانيا القيصرية. 458. Gsell (S.), Observations…, p.13 ; Monceaux (P.), R.H.R., t. 63, 1911, p. 187.

121-Augustin (St.), Epist., 93, 1.20.21 ; Monceaux (P.), H.L.A.C., IV, p.254.

122-Ammien Marcellin, XIX,V, 45.

123- Mesnage (J.P.) , 1913, le christianisme en Afrique (origines, développements, Extensions), Rev.Afri., n° 57, , p.610.

124- كلوديانوس (Claudius-Claudianus)، شاعر لاتيني ولد في حوالي 365م بالإسكندرية (مصر)، رحل إلى إيطاليا في سن مبكرة وارتبط بـ "ستيليكون" Stilicon الوزير الأول في عهد الإمبراطور "هونوريوس"، وكان من المقربين عنده، ثم غضب عليه وفقد تلك الحظوة في سنة 408م.أقام له معاصروه -نظرا لمكانته-تمثالا يحمل نقشا في فوروم "تراجان" بروما إلى جانب "هوميروس" و"فيرجيل". توفي في منتصف القرن الخامس للميلاد. من أهم أشعاره: حرب "جيلدون" في مدح "ستيليكون"، هجاء "روفين" و"أوتروب"، حكومة (قنصلية) "هونوريوس". Bouillet (M.N.), 1878, Dictionnaire Universel d'Histoire et de Géographie, Paris, librairie hachette, pp. 424-425.

125- Claudien, 1933, Guerre de Gildon, (De Bel. Gildon.,), trad. V.Crepin, Paris, 152.

126- Cagnat (R.), 1913, **l'Armée Romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs**, imprimerie Nationale E. Leroux, Paris, p.92.

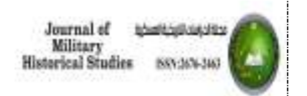
127- هو الإمبراطور "تيودوسيوس الأول" (379-395م) ابن الكونت "تيودوز" الذي حارب فيرموس، بعد وفاته سنة 395م قسمت الإمبراطورية بين ولديه هونوريوس إمبراطور الغرب، وأركاديوس إمبراطور الشرق. للمزيد أنظر Bouillet, Dict. Univ. Hist-Géo. p. 1863.

128- Mercier (E.), 1888, Histoire de l'Afrique Septentrionale (Berbérie), Paris, E.Leroux, p.137.

129- هو الإمبراطور غراتيانوس فلافيوس (367-383م) ابن الإمبراطور فالنتنيانوس الأول (364-375م). للمزيد أنظر Bouillet, Dict. Univ. Hist-Géo. p. 787.

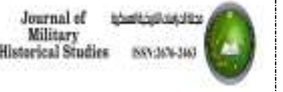
130- فالنتنيانوس الثاني، إمبراطور روماني (375-392م)، ابن فالنتنيانوس الأول حكم ستة عشرة (16) سنة، قتله الخائن أربوغاست (Arbogaste) في فيينا، وعمره لا يتعدى عشرون (20) سنة. Ibid., p.1934-1935.

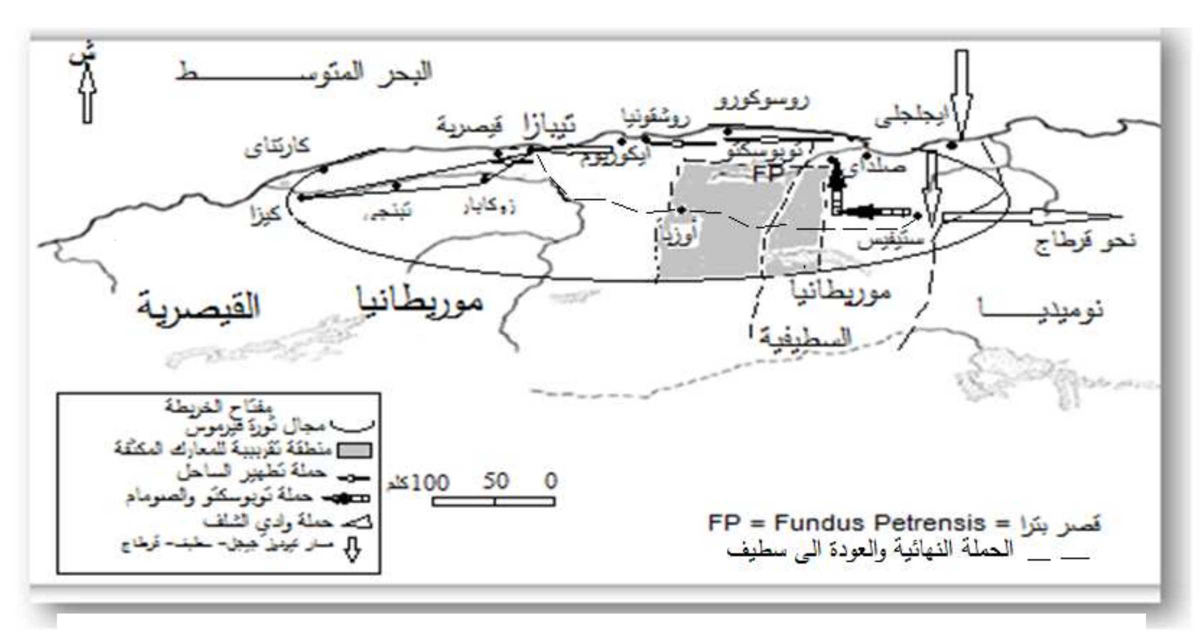
131- Mercier (E.), Op.cit., p.136.



[132]- Leschi (L.), 1931, Recherches épigraphiques dans le pays des Nememchas (commune de Tébessa), Rev. Afri., n°72,, p.268.
[133]- Leschi (L.), Ibid., p.267.
[134]- هونوريوس(Honorius)، إمبراطور الغرب (395-423م)، للمزيد أنظر: Bouillet (M.N.), Op.cit., p.890.
[135]- أركاديوس (Arcadius)، أول أباطرة الشرق، (395-408م) أنظر: Ibid., p.102.
[136]- Leschi (L.), Recherches Épigraphiques, Op.cit., p.268.
[137]- Leschi (L.), Ibid., pp.268-269.
[138]- هنشير الأبيض، منطقة تقع على بعد 15 كلم غرب الشريعة (تبسة) في الطريق المؤدي إلى خنشلة في سهل قساس الفسيح. Ibid., p. 262
[139]- Leschi (L.), Ibid., p.268.
[140]- Orosius (P.), 1982, Historiae Adversus Paganos, dans la géographie d'Orose, par Y. Janvier, Paris, VII, 36,
[141]- Mesnage (J.P.), 1989, le Christianisme en Afrique, Op.cit., p. 610 ; Modéran (Y.), Gildon, **les Maures et l'Afrique**, In: M.E.F.R.A., t. 101, n°2, (pp. 821-872), p.822.
[142]- Claudien, De Bel. Gildon., 61.
[143]- Monceaux (P.), 1901-1923, **Histoire Littéraire de l'Afrique chrétienne depuis les origines Jusqu'a l'invasion arabe**, Ernest Leroux, Paris, 7 tomes, t. IV, p.64.
[144]- Julien (Ch. A.), 1978 , Histoire de l'Afrique du nord, Sned, Alger, p. 222 ; Modéran (Y.), 1989, Gildon, les Maures et l'Afrique, In: M.E.F.R.A., t. 101, n°2, (pp. 821-872), p. 822.
[145]- Cagnat (R.), l'armée Romaine…, Op.cit., p.93.
[146]- كانت معظم وحدات هذا الجيش من قدماء المحاربين Veteranus، إذ يتكون – حسب رواية كلوديانوس - من سبع فرق هي: "ليونيس" Leones ، نرفي Nervii ، جوفي Jovii ، هرقل Herculii ، فليكس Felices ، فرقة أوغستا Augusta Légio ، أنفيكتي Invictii ، وهي فرق من الخيالة استقدمت من إيطاليا و إسبانيا Claudien, De Bel. Gildon., 485 ; Lacroix (L.), 2008, Histoire de la Numidie, Alger, livres éditions. p.199.
[147] - Cagnat (R.), l'armée Romaine…, Op.cit., p. 94.
[148] - Ibid., pp.94-95.
[149] - Orose, VII, 36, 6.
[150]- Monceaux (P.), H.L.A.C., IV, p.64.
[151]- يعتبر كتاب "كلوديان" (حرب جيلدون) المصدر الأساس حول هذه الانتفاضة، ألفه في شكل أبيات شعرية، ما وصلنا منه الكتاب الأول فقط الذي يتوقف عندما يصل أسطول "ماكزيزل" إلى جزيرة سردينيا. Lacroix (L.), Op.cit., p.199.
[152]- هي مدينة حيدرة (Haïdra) حاليا، على الحدود الجزائرية التونسية، شمال شرق تبسة. Cod.Theod., VII, 8, 7.
[153]- Claudien, De Bel. Gildon., 1 ; Orose, VII, 36, 2-12.
[154]- C.I.L., VI, 1187; 1730.
[155]- Mesnage (J.P.), Le Christianisme en Afrique…, p.612.
[156]-Monceaux (P.), H.L.A.C., IV, p.65 ; Eugène Albertini, 1939, Un témoignage épigraphique sur l'évêque donatiste Optat de Thamugadi, In : C.R.A.I., 83e année, N. 1, (pp.100-103), p. 100.
[157] - Julien (Ch.A.), Op.cit., p.222.
[158]- Courtois (Ch.), les Vandales et l'Afrique…, Op.cit., p.145 ; Mercier (E.), Op.cit., p.137.
[159]-Mesnage (J.P.), Le Christianisme en Afrique…, Op.cit., p.614.
[160]-Julien (Ch.A), Op.cit., p .223.
[161]-Cod. Theod., VII, 8, 7, 9 ; IX, 39, 3 ; 40, 19 ; 42, 16, 18-19.
[162]- Monceaux (P.), H.L.A.C., IV, p.64.
[163]- Julien (Ch.A.), Op.cit., p.223.
[164]- Brisson (J. P.), 1958, Autonomisme et Christianisme dans l'Afrique Romaine, Paris, de Boccard, p. 341.

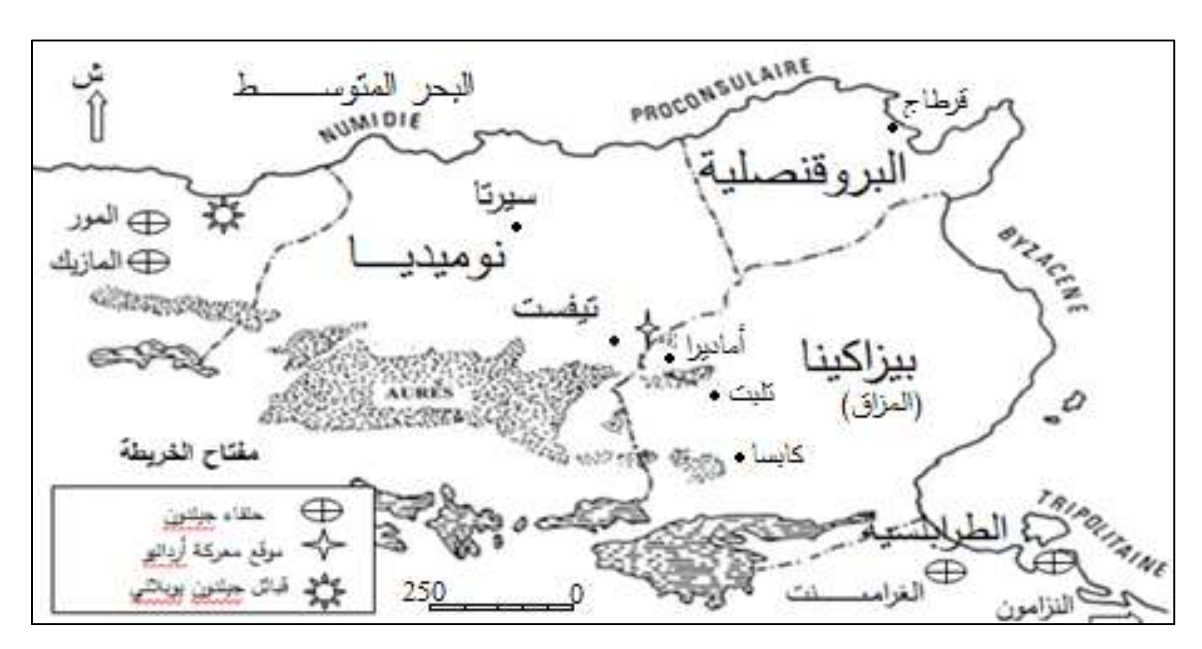
e





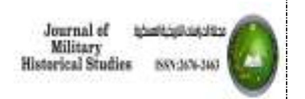
خريطة رقم 1: المجال الجغرافي لثورة فيرموس وحملة تيودوز في موريطانيا القيصرية.

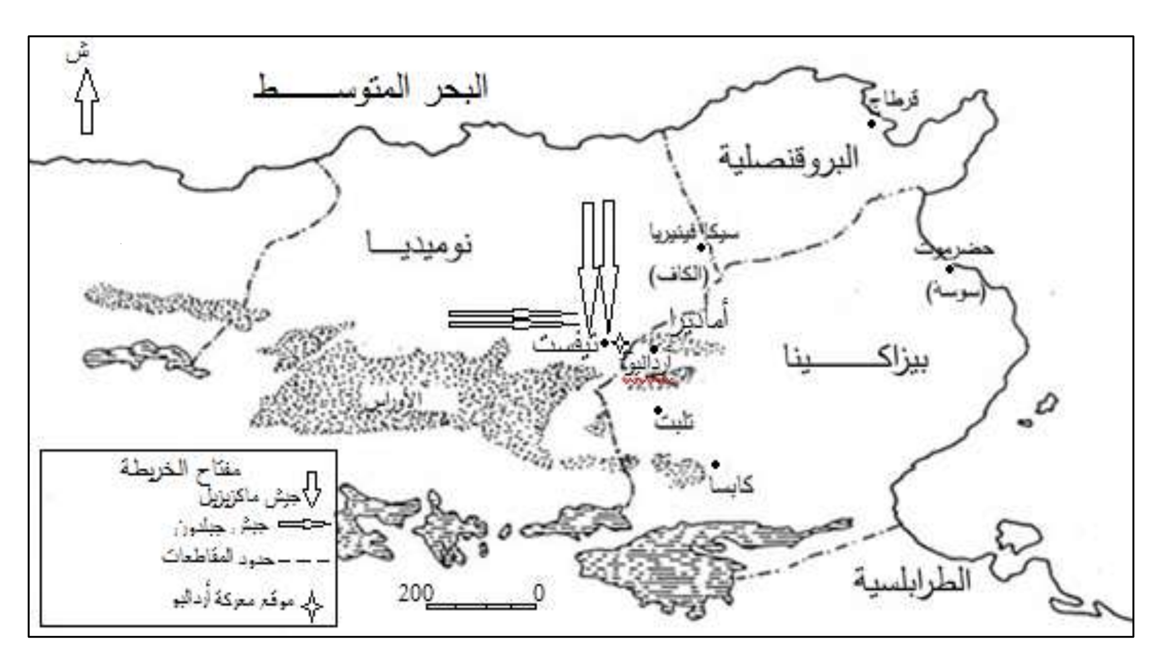
المصدر: Salama (P.), Nouveaux Milliaires « Chrétiens » de la Vallée du Chélif en Maurétanie Césarienne, Afri.Rom., vol. III, 2004, p.1715.



خريطة رقم 2: حلفاء جيلدون حسب كلوديانوس

المصدر: **Yves Modéran, Gildon, les Maures et l'Afrique, p. 837**





خريطة رقم 3: موقع معركة أرداليو بين جيشي الأخوين جيلدون ومكزيزيل

المصدر: **Yves Modéran, Gildon, les Maures et l'Afrique, p. 837**